

جامعة الجزائر-3-
كلية علوم الاعلام والاتصال
قسم الاتصال

مطبوعة بيداغوجية في مقياس:

نظريات فلسفية كبرى

السنة الأولى، جذع مشترك

نظام:

أل. أم. د (L.M.D)

-

من إعداد: د. جمال شعبان شاوش

العام الجامعي: 2021-2022

إلى كل طلبة كلية علوم الإعلام والاتصال

السنة الأولى، جذع مشترك

مكامن النجاح في علوم الاعلام والاتصال

مشروطة بتوسيع مجال المعرفة والاهتمام

بالدراسات الفلسفية والنقدية والتحليلية

وبمختلف الفروع المعرفية الأخ

محتويات المقياس :

مقدمة

1. مدخل نظري : قراءة في بعض الخلفيات النظرية والمعرفية للفلسفة
2. في محاولة تحديد : الفلسفة التحليلية ، الفينومينولوجيا ، وفلسفة العلم .
3. المذهب العقلي
4. المذهب التجريبي
5. المذهب البراغماتي
6. المذهب المثالي
 - المثالية النقدية
 - المثالية الموضوعية
7. المذهب الواقعي :
 - الواقعية الساذجة
 - الواقعية الذاتية
 - الواقعية النقدية
8. المذهب الوجودي
9. المذهب المادي
 - المادية الجدلية
 - المادية التاريخية
10. خلاصة عامة
11. قائمة المراجع والمصادر

مقدمة.

تحتل الفلسفة في الحقل الفكري والنقدي والتحليلي مكانة بالغة الأهمية، فهي نشاط معرفي وفكري يتعدى دورها تحديد طبيعة الظواهر ومنها الطبيعة كخصوصية وطبيعة الكون، وتمتد لتهتم بدراسة القضايا المرتبطة بالإنسان، كالذات والادراك وأصل الموجودات البشرية والتفكير والعقل...، وعلى الرغم بأن الممارسات الفلسفية تدرس موضوعات ومبادئ تستمد معارفها من علوم أخرى، كالمنطق والتحليل النفسي والطبيعة والرياضيات... وتمتد من حيث أصلها وأساليبها ومنطلقاتها الأولية إلى الحضارات اليونانية القديمة، إلا أن مجال صياغة حدودها المعرفية ومجالاتها بشكل دقيق يبقى من القضايا التي بقيت تثير الكثير من التساؤلات بشكل جوهري، خاصة في تصنيف مواضيعها و في تحديد طبيعة التخصصات التي تقوم بدراستها و معرفة جذورها التاريخية ودورها في الفكر المعاصر، خاصة مع تطور المذاهب والتيارات التي تركز على جملة من الآراء والافكار والتصورات المتعلقة بالفرد والظاهرة الانسانية وبالوجود والطبيعة والوعي والادراك والاخلاق... وعلى الرغم أيضا من اختلاف التسميات ولحظات التأسيس والتطور وتباين طبيعة المعارف والافكار التي تقوم بدراستها واختلاف التصورات المعرفية، فإن الفلسفة وعلى حد تعبير العديد من الفلاسفة تنتهي إلى الحقل المعرفي الذي يتميز بالبحث والتفكير والنقد^(*) وهي تقود إلى طرح تساؤلات تخص الانسان، الطبيعة، الفرد، العقلانية، الوعي الانساني، التنوير والحرية و المعطيات الحسية والمجردة و طبيعة الوجود والواقع، الحقيقة والمعرفة...

والواضح، أن هناك الكثير من الفلاسفة و الباحثين الذين رفضوا المعرفة الوصفية والاحكام القيمية المباشرة والتوجه نحو الأحكام البرهانية والاستطلاع والتأمل والتحليل والتفسير والتشخيص والنقد، وتصنيف المقولات التي تقوم بها الفلسفة والاعتماد على المعارف التي تتجاوز حدود المعطيات والوقائع المباشرة. ولا تقف الفلسفة عند هذه الوظائف المختصرة والتي ذكرناه، بل تحاول الاجابة باستمرار وبأساليب منطقية وتحليلية فعلى طبيعة الافكار التي تطورت مع تطور المجتمعات

(*)- قال الفيلسوف ومعلم أسكندر الكبير "أرسطو": إن الفلسفة في أصلها ترتبط بمهية الإنسان وهي نابعة من حب المعرفة والاستطلاع والاكتشاف والرغبة في المعرفة والبحث... من خلال هذا التعريف البسيط، يمكن القول أنه تطرق إلى أهم عنصر في الوجود وهو الانسان، لكنها ستقود فيما بعد إلى لتشمل أيضا الكثير من الممارسات الانسانية، كالتأمل والبحث والاكتشاف والتفكير التي تهدف إلى تفسير الموجودات، وفهم طبيعة وخصوصيات المعرفة والحقائق. وستسمح فروعها بمعرفة طبيعة العلوم ودراسة مختلف الكائنات وأسبابها ومبادئها الجوهرية وعلتها الأولى.

كالعقلانية والمثالية والمادية والحداثة وما بعد الحداثة والافتراضية... وهي بذلك، تتعمق بطرح الكثير من التساؤلات وباستمرار عن طبيعة المجتمع المعاصر والدولة والمعرفة وأهم التحولات والمنعطفات التي شهدتها الانسانية و التاريخ الإنساني، وهكذا، فإن فهمنا للتيارات الفكرية والأيدولوجيات المنتشرة في العالم يعتمد في المقام الأول على فهم الأفكار الفلسفية التي تشكل الأساس الذي تقوم عليه هذه التيارات وتلك الأيدولوجيات. وهذا بطرح التساؤلات التي تتسم بروح التفكير وبالصرامة والدقة والتحليل والنقد، خاصة أنها مهدت الطريق لتحول المجتمعات وترسيخ الكثير من المبادئ الانسانية كالحرية والعدالة والمعرفة النقدية،

يقول في هذا الاطار الفيلسوف "جورج فيلهلم فريدريش هيغل (Georg Wilhelm Friedrich Hegel "1831-1770)⁽¹⁾ أن الانشقاقات والانكسارات والتحولات الكبرى التي تمثلت في الانتقال من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة، قد ولدت قلقا ذهنيا اعتبره مصدر "الحاجة إلى الفلسفة" وهي في الاصل تستدعي دائما استحضار مرجعيات واحالات وقراءات وأبعاد فكرية مختلفة ومتنوعة تتجلى أهميتها في أصولها المعرفية وتنوع مجالاتها واهتمامات الباحثين. فالأفكار التي قدمها أفلاطون "أرسطو" "هيغل" و"ماركس" و"نيتشه" و"كانط" و"كارل بوبر" و"ميشال فوكو" "سيغموند فرويد" و"أريك فروم" "ليوتار"، "سارتر" "وليام جيمس" "بول ريكور" "سبينوزا" "الكندي"، "ابن سينا الفارابي" "الجابري" "طه عبد الرحمن" "أركون" "عبد الله العروبي".... تقدم رؤية تحليلية عميقة لكيفية انتاج المعرفة وتداولها ونقدها.

يزداد دورها مع بروز التحولات الاجتماعية والفكرية الكبيرة التي تعرفها العلوم الانسانية وفلسفة العلوم، خاصة وأننا، نشهد دخول البشرية عصر العولمة والافتراضية والكونية، وتحولات الواقع المعاش وأنساق المجتمعات وتطور التقنية والعلم والاستهلاك والنزعة الفردانية وتنوع وتجدد الاجناس والانواع وأشكال التواصل والايديولوجيات والمفاهيم والنظريات والاحداث. وهذا يفرض بطبيعة الحال الاهتمام بالفلسفة وبمجالاتها العام وبمباحثها، وممارسة النقد ومحاولة فهم الانسان وعالمه الذي يحيط ويتأثر به والبحث في القضايا ذات الصلة بوجوده وتحوله وفق الممارسة العقلانية السليمة الى تنفصل عن كل أشكال الدوغماتية وهذا يشترط المنهجية التواصلية التي ترتبط بالمنهج المعرفي والتحليلي و النقدي والاهتمام بالمعرفة الفلسفية المتنوعة وربطها بالمعارف الأخرى والخبرات

(1) -محمد سيلا وعبد السلام بنعبد الله، التفكير الفلسفي، دفاتير فلسفية، نصوص مخترقة، دار تونقال للنشر، ط2، المغرب، 2008، ص 05.

الإنسانية وهذا بإعادة تفكيك المسائل الفلسفية بقواعدها الايستيمولوجية ومذاهبها ومواضيعها ومفاهيمها الجوهرية .

وفقا لما تم طرحه من قبل، سنحاول في هذا المقياس، تقديم وعرض بعض المبادئ الأساسية للفلسفة ورصد أبعادها و مجالاتها وفهمها والاستفادة من الافكار الفلسفية التي لها علاقة بالعلوم الاخرى وتمارين الطلبة على التدريب على ممارسة منهجية التحليل الوصفي والبنائي والنقدي و دراسة مختلف الظواهر الفلسفية التي لها علاقة بالظواهر الاتصالية والانسانية والاجتماعية...، وذلك عن طريق الانتقال إلى بناء فكر عميق يراعي التجديد والنقد وربط الاصول والأسس الفكرية لعلوم الاعلام والاتصال بالعلوم الأخرى. علاوة، على ذلك، سيساعد هذا المقياس على حث الطالب الجامعي للإخراط الفعلي في عملية التفكير المنهجي القائم على المنهج العلمي والابتعاد عن الأحكام الاعتبائية والعشوائية، والعودة إلى الافكار الفلسفية التي تراهن على بناء رؤية فكرية نقدية لعلوم الإعلام والاتصال. وتزداد درجة الاهتمام بهذا الصرح المعرفي عندما نعرف أن التخصص الذي ننتهي إليه وهو الاتصال، والذي يرتبط ارتباطا وثيقا بالأصول والافكار والمرجعيات الفلسفية، يكفي الإشارة هنا إلى أن التواصل بمفهومه العام لا يقتصر فقط على السلوك التواصلية المتداول في الادبيات النظرية، بل مرتبط بالمباحث الفلسفية، كالحوار والمناقشة و التفاهم ونظرية الاخلاق المشاعر الوعي العقل التواصلية(*) . ونحن نعتقد أنه من الضروري التعرف أولا على النظريات الفلسفية وضبط مجالاتها وخصائصها وتحديد مبادئها قبل الشروع في مناقشة خصوصية التواصل ومستجدات وخصوصيات علوم الاعلام والاتصال.

والواقع، إذا كانت الأسئلة التي بالمذاهب الفلسفية ساهمت في تشكيل أفكار متنوعة وتصورات معرفية في غاية الأهمية ، خاصة أنها تتقاطع مع الظواهر المحيطة بالفرد والاشياء الطبيعية والمتخيل والوعي والعقل...وأعادت تقديم الكثير من الاجابات من خلال إعادة عملية الترتيب والتصنيف والتحليل وفق التصورات الموسومة بالطابع السياقي وباختلاف شروط التعليل وتباين الخلفيات

(*)-العقل التواصلية: مصطلح نقدي استخدمه الناقد " يورغان هابرماس" ليحدد فيه البعد الموضوعي للعقل والقائم على وجود الآراء المتبادلة لتحقيق الاجماع وأخلاق الحوار والنقاش الاتفاق، وتجاوز العقل المتمركز على الذات والعقل المنغلق، وسيكون كذلك بديلاً عن مصطلح "العقل الأدائي" الذي يهدف لتحقيق غايات موجهة للسيطرة على الطبيعة والانسان. أنظر في هذا الشأن:

- ابو النور حمدي أبو النور حسين: يورغن هابرماس، الأخلاق والتواصل، التنوير للطباعة والنشر، 2012.

النظرية والسياقات التاريخية. لأن الفلسفة لم تعرف مساراً معرفياً أو اتجاهها مفاهيمياً واحداً، لأنها عرفت مسارات واتجاهات متباينة ومختلفة، تتسم بالتعدد والتنوع في تناولها للموضوعات والقضايا الكبرى والمفاهيم التي أفرزتها المجتمعات.

من خلال مما سبق، سنحاول في هذه الدروس الخاصة بالمقياس الذي أشارنا إليه سابقاً " نظريات فلسفية كبرى " والتي سنقدمها للطلبة السنة الأولى، شرح وتفسير مختلف المسائل والموضوعات والمصطلحات والأفكار التي تحظى بالأهمية البالغة في ميدان الدرس الفلسفي وهي في الأصل تشكل نواة أساسية لتأطير وتحديد وفهم بعض الأفكار المعرفية المختلفة، إلى جانب سنتطرق إلى أهم المفاهيم والمبادئ والأصول المعرفية المتصلة بالنظريات الفلسفية مع الوقوف على استحضار أهم المستجدات المعرفية الفلسفية الحديثة بمكوناتها وأفكارها المتباينة. علاوة، على ذلك، سنعمل على تزويد الطلبة بمختلف المعطيات المعرفية والموارد الفكرية التي ستشكل له مفاتيح الفهم والتحليل مستقبلاً لمختلف الحقول المعرفية والتي من شأنها أن تجعل من الممكن فهم الكثير من القضايا والموضوعات التي لها علاقة بالعلوم الإنسانية وعلى وجه، خاصة علوم الإعلام والاتصال . وهذا يستند إلى قناعاتنا الراسخة التي تؤكد أنه لا يمكن البحث في عوالم الاتصال دون الانفتاح على التخصصات المجاورة والتيارات الفكرية والفلسفية.

. مدخل نظري : قراءة في بعض الخلفيات النظرية والمعرفية للفلسفة

إذا كانت الفلسفة تشير لمحاولة الإجابة عن الأسئلة الأساسية التي يطرحها الوجود والكون والانسان والميتافيزيقيا والبحث والدراسة في مختلف المسائل التي تتحدث عن المعرفة وعن مصدرها الاساسي والبحث عن أحكامها ومميزاتها. وكذلك المسالك المنهجية والاسس والقواعد المعرفية التي تتعدى التأمل والدهشة والملاحظة، فإن أهميتها تكمن في كونها تستند على مناهج المنطق والاستدلال والاستنباط والاستقراء، وأيضا على البرهان والقياس العقلي والتركيب والفهم والنقد...

تكمن أهميتها في أنها تقدم معارف ومفاهيم وأحكام وتصورات...تصدر عن فلاسفة كانت لهم انشغالات وتوجهات معرفية متنوعة، في دراسة التجربة الانسانية والكون والذات والطبيعة والتحويلات واصل الموجودات ومختلف الجدليات...، وهذا بتحليل فلسفي واسع يأخذ بعين الاعتبار التطورات الهامة التي شهدتها فلسفة الكون والعلوم و نظرية المعرفة، ابتداء من العصر اليوناني إلى وقتنا الراهن، وهنا يجب التنويه، إلى أن الفلسفة شهدت تطورات متنوعة وواسعة وتحويلات عديدة ومهمة في تاريخ البشرية، سواء على مستوى التوجهات الجديدة التي عرفتھا المجتمعات البشرية أو على مستوى سيرورة الفكر والمعارف والعلوم، وهذا بتطوير أساليب ومناهج جديدة في المعرفة قوامها الانتقال التدريجي من "المعرفة التأملية" إلى المعرفة التقنية وإلى "المعرفة التحليلية والعلمية" .يقول في هذا الإطار الباحث المغربي " محمد سبيلا" أن المعرفة التقليدية التي شهدتها الحضارة الانسانية كانت تتسم بكونها معرفة كيفية، ذاتية وانطباعية وقيمية، فهي أقرب أشكال المعرفة إلى النمط الشعري . الأسطوري القائم على جماليات الأشياء وتقابلاتها ومظاهر التناسق الأزلي القائم فيها. أما المعرفة التقنية فهي نمط من المعرفة قائم على إعمال العقل بمعناه الحسابي، أي معرفة عمادها الملاحظة والتجريب والصياغة الرياضية والتكميم. والنموذج الأمثل لهذه المعرفة هو العلم أو المعرفة العلمية التي أصبحت نموذج كل معرفة.⁽¹⁾ وهذا لا يعنى، التخلي عن التراث الفلسفي القديم والتركيز على القضايا والمفاهيم الجديدة، لأن الفلسفة باعتبارها ممارسة في شروط إنتاج

(1)- محمد سبيلا: التحويلات الفكرية الكبرى للحدثة، مساراتها الإبيستيمولوجية ودلالاتها الفلسفية، مجلة فكر ونقد الإلكترونية، المغرب

ومعرفة المعرفة العلمية والسلوك الأخلاقي والقيم والفن...، كانت مرتبطة في الكثير من الحالات بالمعرفة القديمة.

والمؤكد، أن هذا التحول شمل قواعد ومناهج المفسرة والمحددة لطبيعة الموضوعات الكونية والحسية أو الحدسية، و امتدت مع مرور الوقت إلى دراسة الأفكار بمختلف أنواعها وتاريخها والبحث بشكل عميق في المشكلات والقضايا الدينية، الاخلاقية والقيمية، وأصبحت أكثر تعقيداً، خاصة مع تنوع الموضوعات التي تدرسها كالوجود أو الكينونة، ومصدرية المعرفة، الصدق والحقيقة، والجمال، الحرية ... ضف إلى ذلك، أن الفلاسفة قد يطرحون تصورات متباينة ومختلفة حول طبيعة هذه المفاهيم والمباحث الفلسفية . وهذا التأكيد المركزي الذي يتمحور أساسا في تنوع مجالات ومذاهب الفلسفة وتعدد معارفها وتطورها، كان موضع نقاش مستمر من طرف الفلاسفة منذ القديم، فالأفكار الفلسفية التي هيمنت على مجالات اهتمامات الفلسفة في العصر الاغريقي تغيرت وتطورت أو تدعمت بمفاهيم جديدة في العصور الحديثة، وانتقلت إلى التفلسف حول نتائج العلم ومباحثه الجديدة⁽¹⁾.

وفي هذا الإطار، فإن مجال البحث الفلسفي، يختلف من عصر الى عصر باختلاف "المواقف والرؤي واختلاف أليات التفكير وكذلك المجتمعات، والزمان" والمشاكل الإنسانية ،... بحيث نجد بأن، مجال البحث الفلسفي في العصر اليوناني الأول على سبيل المثال، يكاد يقتصر على مشكلة الطبيعة أو الوجود بينما إتسع على يد أفلاطون ليشمل موضوعات متنوعة ومتعددة من بينها "علم الاخلاق وعلم الجمال والمثل"، وكذلك على يد أرسطو حيث شهدت الفلسفة ظهور علم جديد وهو علم "المنطق والقياس"، أما في بداية العصر الحديث فقد شهدت الفلسفة فترة زمنية وعلمية مهدت لتأسيس عهد جديد اتسمت بالتحول على المستوى الإشكالي والمفاهيمي، وهذا ببروز مباحث جديدة متخصصة كظهور مبحث نظرية المعرفة، أي التساؤل عن إمكانية وحدود المعرفة (الايستيمولوجيا) وبروز الفلسفة التي تهتم بالتقنية وعلاقتها بالإنسان والطبيعة والفكر وقيمة التفكير فيها وعلاقتها بالتحولات السريعة وبالتقدم العلمي والتكنولوجي والرقي

كما أن مجالات الفلسفة شهدت تغيرا جذريا في الطرح والتساؤل، مما ترتب عليها تعدد واختلاف التحديدات المفاهيمية وتنوع اتجاهات التفكير الخاصة بها ، فهناك من ينطلق من الدين والآخر من

(1)-عمر مهيل، إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية الحديثة، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2005، ص 48.

علم النفس والآخر من الوجود والآخر من الاستدلال المنطقي والآخر من الذات ...، كما أن ارتباط الفلسفة بالعصر، سيقود بالضرورة إلى اختلاف أفكار "الباحثين" والفلاسفة، لأن الفيلسوف مرتبط بقضايا زمانه وعصره وسياقه.. فعصر الفيلسوف اليوناني ومؤسس أكاديمية أثينا "أفلاطون" (427-347 ق م) (Platon) ليس هو عصر "رينيه ديكارت" (31 مارس 1596 – 11 فبراير 1650) (René Descartes) (*)، لأن هناك اختلاف بين الفيلسوفين سواء في تعريف الفلسفة أو تحديد أهدافها ومجالاتها وغاياتها.

وهذا يقودنا للقول، إلى أنه من الصعب تحديد مجال الفلسفة تحديداً دقيقاً، فهي لا تتناول موضوعاً واحداً، بل مجالها يشمل مواضيع ومفاهيم متنوعة ومتداخلة لا يمكن حصرها، ومن الصعب أيضاً تحديد خصائصها ومميزاتها بشكل سليم وضبط قواعدها بصورة صحيحة. صحيح أنه يمكن طرح تساؤلات عن الطريقة التي نتحصّل بمقتضاها على معارف متنوعة وعميقة، وعن كيفية ظهور الفلسفة وتطورها زمنياً، لكن هناك العديد من الأسئلة والقضايا المطروحة في العديد في بعض المجالات، خاصة الانسانية والمعرفية التي تبقى مفتوحة وبتأويلات متنوعة.

وتزداد صعوبة تحديد الفلسفة تحديداً دقيقاً، بظهور المذاهب الفلسفية المتنوعة، كونها لا تلقى إجماع الفلاسفة حول موضوعاتها الجوهرية، وهي في الغالب مذاهب فلسفية مختلفة ومتناقضة تبحث عن ماهية الأشياء والظواهر وطبيعتها وأهم قوانينها بأفكار وتوجهات وعلل واسعة ومتشعبة تبين في الحقيقة تعدد أنماط التفكير وتباين قناعات الفيلسوف، حتى وإن كان ينتهي إلى نفس المذهب أو التيار، ضف إلى ذلك، امتداد الفكر الفلسفي إلى المنظومات الثقافية والسياسية والدينية، فيمكن أن ينتمي الفلاسفة إلى نفس العصر وإلى نفس المذهب أو التيار، لكن هذا لا يمنع

(*) - يمكن أن نشير إلى تباين القراءات المتناقضة في "موضوع الحقيقة"، يعتقد "أفلاطون" أن الحقيقة هي واقع أنطولوجي يجسدها في الغالب عالم المثل، ومن هنا تكون المعرفة هي إدراك لعالم المثل، ويقول أن هذا العالم المادي الذي نعيشه ليس هو العالم الحقيقي، بل هو مجرد ظل ونسخة مشوهة للعالم الحقيقي، لأن العالم الحقيقي يتميز بالثبات والخلود والاستمرارية والكمال وهي صفات ومميزات لا تتوفر في العالم المادي، لأنه متغير وله صفة النهاية والاندثار، لذلك نجده دائماً على ضرورة الحديث عن وجود عالم آخر يسميه "عالم المثل"، عالم لا يتألف من أشياء وأجسام وإنما من أفكار وصور من خلال الانتقال والارتقاء التدريجي من المعطى المحسوس إلى النموذج المعقول.. أما "ديكارت" فيختلف عن "أفلاطون"، قائلاً أن الحقيقة غير موجودة في الواقع، وهذا يعود لسبب رئيسي، أن الحقيقة بناء عقلي يتم من خلال عملية الشك. هكذا سيكون الفكر هو العنصر الأساسي الذي يحتضن الحقيقة، ولا وجود لحقيقة خارج الفكر. وهي مرتبطة بالحدس أي المعرفة المباشرة التي تصدر عن العقل الخالص في موضوع ما والتي تتميز باستحالة الشك فيها، وأيضاً الاستنباط ويقصد به ما يتم استنتاجه من أشياء أخرى واضحة ومتميزة بواسطة حركة وممارسة تكون متصلة للفكر. وبالتالي ليس هناك حقيقة إلا إذا قامت على المبادئ والتي تدرك بواسطة الحدس العقلي والتفكير.

من وجود الاختلاف بينهم وفي طريقة التفكير وطريقة بناء أو إعادة بناء المفاهيم وتحليل الظواهر فلسفياً. فهم لا يطرحون الأسئلة ذاتها، ولا يستعملون نفس التصورات ونفس البراهين والقوانين. فرواد الفلاسفة الوضعيين على سبيل المثال، يعلنون أن فلسفتهم ليست مادية وليست أيضاً مثالية، لأنها تنطوي على إنكار وجود المعرفة التي تتجاوز التجربة الحسية، ولا تؤمن بالمعرفة التي تتصل بما وراء المادة وأسباب وجودها. وتتناقى كذلك مع الفلسفة المادية التي تقر بالوجود الموضوعي للعالم المادي وانعكاسه في وعي الإنسان.

لا تقف تنوع مجالات وموضوعات الفلسفة فقط في الأفكار التي تطرقنا إليها أعلاه، بل ترتبط أيضاً بتعدد وتنوع المفاهيم و مناهج البحث: كالملاحظة والتأمل وتباين كيفية بناء وتشكيل المنهج و كذلك كيفية تحديد طبيعته ودوره في تصنيف وترتيب المعرفة والذي يجب ويفترض أن يبين الوجود الحقيقي للأشياء والظواهر وتشخيص علل وأسباب وكيفية وجودها واشتغالها، والملاحظ هنا، "غياب منهج موحد" لدراسة الأشياء والظواهر والوجود الانساني وتحوله من الناحية الفلسفية، فكل فيلسوف يتبنى منهجه الفلسفي الخاص وفقاً لانتماءاته وفكره ووفقاً لمختلف معطيات العالم الخارجي التي تؤثر فيه. وهذا، يبين اختلاف الفلاسفة في تشخيص الموضوع الرئيسي للبحث الفلسفي، لأن لكل فيلسوف له قناعاته الفردية وتصورات التي تميزه عن غيره.

وفي نفس الإطار، يمكن أن نشير ولو بصورة مختصرة إلى اختلاف آراء بعض الفلاسفة في موضوع الميتافيزيقيا التي يقال أنها تقدم قضايا وجودية. أي أنها تتصل بكينونة الوجود،⁽¹⁾ ولكنها تتجاوز حدود الطبيعة أو ما وراء الطبيعة وهي أحد فروع الفلسفة التي تهتم بدراسة المبادئ الأولى والوجود وتبحث في المبادئ الأولية للعالم، يقول عنها الفيلسوف "دافيد هيوم" (1776 - David Hume 1711) بأنها وهمية ولا تتقاطع مع المعارف الفلسفية ومشروعية التفكير ونتائجها مشكوك فيها، وهي في الواقع تتناقى مع المعرفة التي يقدمها العقل السليم، وهذا عكس الطرح الذي قدمه الفيلسوف "أرتور شوبنهاور" (1788 - Arthur Schopenhauer 1860) المعروف بأفكاره التشاؤمية، يعتبر العالم كإرادة وفكر، فهو يرى أن البشر، تجسيد للإرادة الميتافيزيقية، بحيث أن الإرادة، والرغبة، والطموح ... ليست أشياء نمارسها: إنها في حقيقتها ما نحن عليه. لا يتعلق بقول

(1) - أ.م. بوشنسكي، ترجمة: عزت قرني: الفلسفة المعاصرة في أوروبا، سلسلة عالم المعرفة، 1978، العدد، 165، ص 264.

الإرادة الذي يعمل دون علم منا يفوق العقل،⁽¹⁾؛ بنى فلسفته خاصة الجمالية على مبادئ أو أسس مذهبه الميتافيزيقي، ووصف الفن بوصفه، ظاهرة ذات بعد ميتافيزيقي. والإنسان كما يقول "شوبنهاور" هو "حيوان ميتافيزيقي".

تطرح الفلسفة موضوعات كثيرة ومعقدة للدراسة، خاصة بعد التحولات التي عرفها الإنسان فهو يقوم دائما بإحداث تغييرات في مناهجه ومقاصده وغاياته وحاجاته نحو نفسه ونحو المجتمع ونحو الطبيعة والانظمة ... وفي هذا الإطار، يمكن أن نتحدث عن الفلسفة الصينية وفلسفة البانتو (Bantoue) ^(*) وفلسفة "ليوناردو دي فانشي" (1452-1519) - (Léonard de Vinci)، وعالم الفيزياء "ألبرت أنشتاين" (1879-1955) (Albert Einstein) هذا من جانب، ومن جانب آخر، نعود مرة أخرى إلى مسألة المعرفة والبحث في مباحثها، فإذا كان تطور الواقع المتصل بالإنسان وبذاكرته وقيمه وتطور العلوم والمعارف يساعد على إحداث التغيير في مناهج الفلسفة أو الحكمة الجديدة التي يتوجب على الفلاسفة البحث عنها ومعرفة مميزاتها، فإنه يجب على الفلسفة أيضا أن تطرح سؤال عقلي ونقدي حول هذا الواقع، بفتح نقاش عميق عن مضمونه بأبعاد فكرية ومنهجية، ووضعه في سؤال نسقي ومعرفي واسع. وتتجسد أهمية تحقيق ذلك بالمحاولات المتكررة وبطريقة عقلانية⁽²⁾ مادامت الفلسفة تبحث في المسائل المرتبطة بأساليب التفكير والنقد والوجود وهي مرتبطة بأفكار الفرد وحياته، ولا تقدم أفكارا جاهزة للاقتداء بها والعمل بها، لأن مجالاتها متعددة والموضوعات التي يبحث فيها تتصل بالوجود الانساني وحتى الطبيعي والفيزيائي، وتتعدى الطابع الأنطولوجي للأشياء، وتدرس المسائل المرتبطة بعلم النفس والمنطق وعلم الاخلاق وعلم الجمال والمادة والتاريخ... وكل المسائل التي تحرك الفكر الانساني، كالتأمل^(**) والملاحظة والإدراك...

(1) - لوك فيري: ترجمة محمود بن جماعة، أجمال قصة في الفلسفة، ط1، دار التنوير، لبنان، 2015، ص 258.

(*) - هناك من الباحثين من يرفضون أصلا وجود فكر فلسفي، ويستندون في ذلك على اعتبار أن طبيعة الافكار تدخل في الحكايات والخرافات والأساطير. وبالتالي لا يمكن أن تشكل نسقا وموضوعا فلسفيا ولا ترقى أبدا أن تكون في مجال التفكير المنهجي والعلمي الذي يبحث في الموضوعات المتعلقة بالموجودات والوجود الانساني.

(2) - Laurent de BRIEY, **Introduction à la philosophie**, Faculté des sciences sociales, économiques et de gestion, Faculté universitaire Notre-Dame de la Paix, Année 2011-2012, P06.

(**) - إن اكتشاف العالم الانكليزي إسحاق نيوتن (1642-1727) لقانون الجاذبية، بدأ من فعل التأمل في حقيقة الكون وفي الجاذبية الأرضية وقوانين الحركة وحركة الاجسام، استنادا إلى سقوط تفاحة من غصن شجرة إلى الاسفل بشكل مستقيم. فأخذ يفكر في موضوعات متعددة وطرح

تعريف الفلسفة : بين تنوع المفاهيم وتعدد المدارس.

يمكن القول منذ البداية على أن الفلسفة، تشكل ذلك المنهج الفكري التفسيري، التأملي والنفدي الذي يشمل سلسلة من العمليات التي تبحث في أسباب وجود الأشياء ومختلف جوانب الحياة المختلفة، الطبيعية والبشرية والتي تدرس الأشياء المادية وما وراء الأشياء والموجودات أيضاً، كما تدرس كل المسائل المرتبطة بنظرية المعرفة. والأخلاق، واللغة، وطبيعة وخصوصيات العقل وأصل الكون وجوهره. وكذلك الخالق، و (الصانع) الإنسان، وأسس التفكير السليم، الفكر الروح والجسد، الإرادة الحرة ووجودها وتكمن أهميتها في البحث عن الحقيقة يقول "كارل ياسبيرز" "Karl J" (1883-1969) في هذا الشأن كل من يمارس الفلسفة يريد أن يحيا من أجل الحقيقة" حقيقة الإنسان والعالم والله...

وفي هذا الإطار، إن الفلسفة ممارسة وخطاب عقلي ونقدي (un discours rationnel et critique) يتناول بصفة رئيسية وجوهية القضايا والمشاكل الانسانية المتنوعة، حول المجتمع والمعرفة، وهذا لغرض توجيه الفعل الفردي والجماعي،⁽¹⁾ فهي بذلك، تدعو إلى البحث عن المبادئ الأولى والعلل البعيدة لتفسير ظواهر الوجود بصورة عقلية واحترام القواعد والمبادئ التي تتيح إمكانيات الوصول إلى الحقيقة الكلية للموجودات، وهذا لن يتحقق إلا بالاعتماد على خطوات أساسية تتمثل في: التأمل، الملاحظة والتفكير والتجريب والقانون. وهذا بدلا من استخدام ممكنات التعبير الشعري فقط، وهذا التعبير الأخير يشير إلى تلك المرحلة الانسانية التي ساهمت بالانتقال من الخطاب الشفوي الأسطوري- الميتوس- (Mythos) إلى الخطاب الفلسفي الذي يعتمد على الاستدلال العقلي وإنتاج الأفكار والمفاهيم العقلية، -اللوجوس- (Logos) وبروز الذات المفكرة (*).

أسئلة متباينة، ما سبب سقوطها على الأرض؟ ولماذا سقطت التفاحة من الأعلى إلى الأسفل؟ وبدأ يفكر عن الأسباب التي جعلت التفاحة تتحرك بذلك الشكل حتى عرف أن هناك جاذبية على الأرض تجذب الأشياء نحوها. وعمل على تطوير نظريته الشهيرة والخاصة بالجاذبية.

(1) – Émile Chrétien, **le Québec philosophique, Une Introduction à la philosophie**, Montréal : McGraw-Hill, Éditeur, 1991, P15.

(*)- لقد تطورت الممارسة الفلسفية وأصبح ينظر إليها كتفكير عقلائي مقابل التفكير الأسطوري الخيالي الذي كان عند اليونانيين، وهذا ما سمح بالانتقال من عالم الاحلام والخيال والوهم إلى الوعي بالوجود الكوني عبر التأمل والتفكير والمعرفة العلمية وبدأت الفلسفة تعتمد على حجج عقلية في البرهنة على أصل الوجود والكون وابتعدت عن السرد الأسطوري الذي يعتبر كحكاية أو قصة خيالية، تتحدث عن الآلهة وعن الابطال وعن الظواهر الطبيعية والاشياء المجردة، وتتحدث عن ضعف الانسان إزاء قوى الطبيعة، والقوة الخارقة التي يتمتع بها الآلهة، .. يمكن القول، أنها حكايات وأفكار استعارية للأصول

وهكذا فإن، مراحل ظهور الفلسفة شهدت تطورا ملحوظا في نظرتها إلى الموضوعات والأشياء ومعرفة حقائقها، بل وتجاوزت وتعارضت في بعض الأحيان مع الفكر القديم والأسطوري الذي يعتبر كفكر خيالي درامي شفوي و الذي كان يفسر طبيعة الظواهر خاصة الطبيعية بالعودة إلى قوى غيبية وخيالية، وهناك العديد من الفلاسفة الذين تطرقوا إلى ذلك، يكفي أن نذكر هنا "طاليس" أول من أرجع تعدد ظواهر الكون، إلى عنصر منظم إذ قال أن أصل الأشياء وكل الموجودات، هو عنصر واحد وهو الماء. فالماء، هو أصل الوجود. والحقيقة أن تناول الموضوعات الفلسفية القديمة كانت تثير مجموعة من الأسئلة عن العالم الخارجي ومحاولة تفسيره من خلال اللجوء إلى عنصر طبيعي أو مبدأ أولى تتكون منه كل الموجودات، بحيث تساءلوا عن حقيقة المبدأ الأول للطبيعة ومختلف "الموجودات". والواقع، قد اختلفت وتضاربت آراء وموقف الفلاسفة حول طبيعة وخصوصية ومركزية الوجود والحركة والكون، ونجد هنا العديد من الفلاسفة الأوائل مثل، "طاليس" و"انكسيمانس" و"انكسمندرس" "هراقليطس" و"بارمنديس" و"صولا إلى" الفيتاغورين.. الذين قدموا أفكار فلسفية مختلفة عن ذلك.

ارتبط مسار تطور الفكر الفلسفي الحديث بظهور الروح العلمية وازدهار العلوم، خاصة العلوم التجريبية والعقلية والثورة العلمية، وهذا ما ساهم ببروز تصورات معرفية تقوم بنقد الفلسفات والعلوم الموروثة والتحرر من تراث الفكر الموروث، خاصة الديني. وتغيرت طرق البحث في المعرفة والتحقيق العلمي في مختلف التخصصات وظهرت موضوعات ومعارف جديدة، فإذا كان "باروخ سبينوزا" (1632 - 21 فبراير 1677)، و "الرواقيون"⁽¹⁾ على سبيل المثال، يصوغون النظريات في المعرفة والتي تركز أساسا على مذهب الحتمية^(*)، فذلك بطبيعة الحال للوصول في النهاية إلى تعريف للحكمة بما هي توافق مع العالم وحب للواقع وفهم لمنطق الأسباب، فإن كبار

تدخل في السرد الخيالي، تتخذ "الميتوس" صيغ تفسيرية وتمثيلية لبعض جوانب الحياة والعالم والواقع متجاوزا لحدود القدرة العقلية، التي تعتمد على مبادئ وقواعد "اللوغوس". والتي ظلت حاضرة كانشغال رئيسي في تاريخ وتطور الفلسفة وفي تفسير كل الظواهر الطبيعية والانسانية.

(1) -لوك فيري: ترجمة محمود بن جماعة، مرجع سبق ذكره، ص 18.

(*)-تقول الحتمية (déterminisme) : أن كل حدث في الكون بما في ذلك إدراك الإنسان وتصرفاته خاضعة لتسلسل منطقي سببي محدد سلفا ضمن سلسلة غير منقطعة من الحوادث التي يؤدي بعضها إلى بعض وفق قوانين محددة. فكل ما يحدث في الكون على الإطلاق يخضع لقانون سببي ما، "فالرواقيون" يرون أن هناك عللاً منطقية تستبقيها بالضرورة نتائج منطقية محتومة، فهم يتحدثون عن أشياء مفروضة على الإنسان تخرج عن نطاق أفعاله، لا يتوقف وجودها عليه، وهي أمور ضرورية لأنها محتومة .

الفلاسفة التفكيكيين مثل "نيتشه" و "هيدغر" قالوا باستحالة الوصول إلى فهم متكامل أو على الأقل متماسك للنص ولطبيعة الأشياء والموجودات، وهي تنكر وجود أية قيمة مطلقة لأنها تقوض فكرة الحقيقة الموضوعية، و تحاول أن تبحث من الداخل عن المسكوت عنه والمستتر، وهي تعارض بصورة مطلقة العنصر الظاهر. لأن الحقيقة مفهوم نسبي. كما أن إنعدام اليقين يعتمد على موقف المثقف والمفسر والمتلقي وإطاره المعرفي الذي ينطلق منه وهو ما يتطلب فك تقاليد الأنطولوجيا الجامدة من خلال عملية "الهدم والتفكيك".

صحيح أن، الفلسفة تثير عقل الإنسان اتجاه مشكلات الوجود بطرق مختلفة، فتحاول الإجابة عن العديد من الأسئلة مثل ما طبيعة الوجود وماهية الإنسان والحياة والموت وغيرها من المشكلات، إلا أن الفلسفة المعاصرة هي دراسة ونقد المعرفة العملية الإبيستمولوجية أو الدراسة النقدية للعلم، ومعالجة قضايا الإنسان السياسية والاجتماعية والاتصالية ومنها الرقمية والافتراضية. ورغم هذا التنوع الملحوظ في المواضيع الفلسفية وصعوبة تحديد مفهوم الفلسفة، سنحاول إبراز بعض التعاريف الأساسية والمتمثلة فيما يلي:

- تشمل الممارسات التي تجعل من الموجودات مجالات للتفكير، ولا تنفصل عن المحاولات الفكرية والنشاطات العقلية التي تدرس طبيعة العالم وغاية وهدف الوجود ومبدئه والتجربة الانسانية. ويبقى هدفها فهم طبيعة الأشياء والموجودات ومجالاتها وطبيعة المعرفة والطرق المؤدية إليها ومختلف العلاقات التي تنسجها مع العناصر الأخرى.
- فهي بذلك لا تنفصل بتاتا عن موضوعات المنطق أو تحكيم العقل، ومجالات التفكير على أساس الاستدلال والبرهنة. وعن الأخلاق والعدالة والحالات النفسية والمبادئ والقيم الجوهرية للفرد، والموضوعات التي تدور حول الخير والشر الماضي والمستقبل، الجسد والروح
- تسعى لتقديم تفسيرات منطقيّة واضحة شاملة لمختلف الظواهر بالاستناد على أساليب البرهنة، وهي في الاصل تتطلب توفر العديد من الشروط منها " التفكير العميق والتأويل والفهم والمناقشة والتحليل والنقد"،⁽¹⁾ ويرى الفيلسوف "أرسطو" في هذا الإطار، أنّ

(1) -Gilles Deleuze , Félix Guattari , **Qu'est -ce que la philosophie ?** le éditions minuit, 2013.

"الفلسفة عبارة عن ذلك العلم النظري بالمبادئ والأسباب الأولى، وهي العلم الكلي الذي يشمل العلوم الأخرى ويعلوها".

- كما أنها تعبر عن رؤية فلسفية تنتهي إلى فن تشكيل وابتكار ونتاج المصطلحات والمفاهيم، أو بصورة أكثر دقة إلى جانب كون الفلسفة تدرس الكون والانسان والانطولوجيا فهي أيضا على حد تعبير الفيلسوف والناقد "جيل دولوز (1925 - 1995) " (Gilles Deleuze)، تخصص الذي يقوم بابتكار وإبداع المصطلحات والمفاهيم⁽¹⁾. ومن هذا المنطلق، لا يجب على الفلاسفة قبول المصطلحات والمفاهيم التي تقدم لهم بشكل مباشر وعييني...، لكن يجب عليهم أيضا أن يعملوا على انتاجها وإبداعها وطرحها واقناع الناس بها وكذلك العودة. لذلك وجب النظر إلى هذه الممارسة كما قال "جيل دولوز" الفلسفية كفعل ابداعي ومسارا لإنتاج المفاهيم مع اقتراح أدوات ومسالك وأليات لفهمها وضبطها وهو ما يشكل موضع الفلسفة.

- إن الفلسفة كما أشارنا إلى ذلك من قبل، تشكل تلك الممارسة القادرة على الاجابة عن الاسئلة المرتبطة بالوقائع وحركية الفعل الانساني والقيم والموجودات والكيوننة... وقد وردت هذه الكلمة في الموسوعات والقواميس ، فمثلا عرفها قاموس (le petit Robert) "على أنها المعرفة التي نتحصل عليها عم طريق العقل، وهي تتضمن دراسة عقلية للطبيعة (علوم الطبيعة) ونظرية الفعل الانساني (علوم إنسانية)"... كما أنها تشمل الدراسات والابحاث التي تستهدف معرفة وفهم والامساك بالعلل الاولى للواقعة المطلقة وأيضا أسس القيم الانسانية....⁽²⁾ و الفلسفة تشمل الدراسة النقدية التأملية للظاهر المختلفة وهي تثير الكثير من التساؤلات وتحاول الإجابة عنها فهي تدفع للتفكير في مبادئ العلوم والموجودات .

1- التعريف اللفظي للفلسفة.

هي كلمة ذات أصل يوناني تتكون من مقطعين (philos) وتعني (حب) و (Sophia) وتعني (

(1) - IBID P08-35.

(2) -Paul Robert, **Le petit Robert Dictionnaire Alphabétique et Analogique de la Langue Française** , Nouvelle éditions, millésime, 2011, P1886.

الحكمة) أي (محبة الحكمة) " amour du savoir " أو كما يفضل البعض استخدم " amour de la sagesse " والفيلسوف، هو محب للحكمة والذي يأخذ مسار البحث عن المعرفة والحقيقة، يشبه بذلك الحكيم الذي يبحث في أصل المعرفة بأفضل ادوات وقواعد التحليل والتفكير. هكذا، فالفلسفة في أصلها الاشتقاقي في اللغة اليونانية تعني محبة الحكمة والبحث عن الحقيقة بشكل مستمر من طرف الفيلسوف وهو يتسم بأنه محبا للحكمة وساعيا وراءها.⁽¹⁾ والحقيقة أن "سقراط " عندما سمي نفسه فيلسوفا، أي محبا للحكمة (مشيرا بذلك إلى المعنى الحرفي للكلمة فلسفة)، لتمييز نفسه عن طائفة السوفسطائيين^(*)، ولم يكن غرضه الحقيقي الاعلاء من شأن طلب المعرفة لذات المعرفة، بل كان في الحقيقة يبدي ارتياحه في الوصول إلى معرفة يقينية أو إمكان الوصول إلى معرفة على الاطلاق⁽²⁾. وهكذا، فإن الفلسفة، ليست الحكمة ذاتها، ولكنها " حب الحكمة".، وبهذا تكون أدوات البحث عن الحكمة إثارة السؤال والمناقشة والجدل والاقناع والنقد، وهي في ارتباط بالعقل والمعرفة والفكر. (ابن رشد 1126 م، قرطبة - توفي في 1198 م، بمراكش) يقول " الحكمة هي صاحبة الشريعة وأختها الرضيعة " وهو يقصد ذلك الحكمة الفلسفية والتوفيق بين الحكمة والشريعة (بين الدين والفلسفة) فهناك إذن توافق بين الدين والفلسفة. أي بين الشريعة والإيمان بالعقل، فكلاهما يقود الناس إلى معرفة الحقيقة وليس امتلاكها، بتعبير آخر، حب المعرفة والبحث

(1) -عبد الله شمت المجيدل: تطور الفكر الفلسفي، من الفلسفة اليونانية إل المعاصرة، ط1، دار الاعصار للنشر والتوزيع، عمان، 2015، ص 23.
(*) - حركة فكرية وفلسفية تضم مجموعه من المفكرين اليونانيين قبل سقراط، وقد انتشرت في بلاد اليونان عامة، قبل ميلاد المسيح. وكان من زعمائها البارزين "بروتاغوراس" "غورغياس" "بروتاجوراس" و "جورجياس"، تقوم على الإقناع لا على البرهان العلمي أو المنطقي، وعلى الإدراك الحسي والظن، وعلى استعمال قوة الخطابة والبيان والبلاغة والحوار الخطابي، والقوانين الجدلية الكلامية بهدف الوصول إلى الإقناع بما يعتقد أنه الحقيقة، وبهذا المعنى، أصبحت "السوفسطائية" عنواناً على المغالطة والجدل العقيم واللعب بالألفاظ وإخفاء الحقيقة. فقد حولت "الفكر من الاهتمام بالطبيعة إلى الاهتمام بالإنسان" وجعلت من الإنسان موضوعاً أساسياً للتفلسف والتفكير قبل الموضوعات الأخرى "الإنسان هو معيار كل شيء" في مجال المعرفة والحقيقة، وكانت تؤسس للمعرفة على معطيات الإدراك الحسي.

لقد كان "سقراط" يعاديهم وينتقدهم باستمرار و إتهمهم " أفلاطون" بنكران الحقيقة الموضوعية و المبادئ الأخلاقية، أما "هيغل" فقد أعاد الاعتبار إلى هذه الحركة، فرفع من شأن الفلسفة السوفسطائية، كونها تمثل مرحلة أساسية من مراحل تطور الفلسفة اليونانية وباعتبارها حركة ذات أهمية خاصة في تاريخ اليونان الروحي والحضاري، وفي تكوين الفكر الفلسفي، وأنها لم تكن حركة هدم بقصد الهدم المجرد، وإنما كانت حركة هدم لبناء من جديد لأنها كانت تعبر عن روح العصر. ووضع "إبن سينا" رسالة بعنوان «السفسطة» حدد فيها "السوفسطائية" بأنها نوع من الأغاليط والخداع والتمويه والاستدلال الباطل.

- شوقي رياشي: السوفسطائية فلسفة اثار جدلاً ف ... هل تتكرر اليوم؟- رأي -

<http://www.tahawolat.net/MagazineArticleDetails.aspx?Id=112>

(2) -أزفلد كوله، ترجمة أبو العلا عفيفي: المدخل إلى الفلسفة: ط1، بيروت، 2016، ص 24.

عنها وعن طبيعتها وأصلها بصورة يقينية .

المعنى الإصلاحي:

تفرض الفلسفة مختلف الاساليب التي يمكن عبرها تنشيط مجال التفكير المبني على الصرامة والدقة والنقد والتحرر من الافكار التي تتسم بالوهم والخيال واكراهات الديني والمقدس، وهي ترتبط وتشمل نشاطات الدهشة والتأمل والتفكير والتجريب وبذلك، تتعلق بالممارسة والتجارب والتمارين، معنى هذا أن الفلسفة تطبيق عملي أو ممارسة ، " praxis " فهي نشاط أكثر منها خلق، وهي ممارسة أكثر مما هي نتاج،⁽¹⁾ وقد استخدمت للإشارة على النشاط المستمر الذي يسمح بوضع مبادئ العلوم في مجال مميز بمجال التطبيق، والاستمرارية في النشاطات و ممارسة التفكير، وممارسة التأمل، وغيرها من الأنشطة الاخرى لتأكيد صدق المعرفة بفعل الممارسة والبرهنة على حقيقة الوجود والانسان

يمكننا منذ البداية الإقرار، أن هناك العديد من التعاريف الشهيرة التي تعبر عن الفلسفة والتفلسف^(*) من زوايا متباينة:

- " فأفلاطون" على سبيل الطرح، يقول أن "التفلسف هو التحرر من جنون الجسد، والفلاسفة الحقيقيون أموات الآن في حياتهم" ويقول أيضا أن الفلسفة، تعنى "البحث عن حقائق الموجودات"... إنه يدعو إلى التفكير والتأمل في الوجود، والتحرر من كل القيود والإكراهات التي تحد من التفكير المرتبط دائما بواقع آخر يختلف عن العالم الواقعي الذي نراه والذي تتفاعل معه، وهذا برفع الحقيقة إلى مرتبة المثل الاخلاقي الأعلى. وخلق قيم جديدة توجه وتفكيرنا وتنظم علاقاتنا بالعالم وبالأخرين.⁽²⁾ والفلسفة حسب

(1) -عبد الرزاق بلعقروز: مدخل إلى الفلسفة العامة، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر. 2015، ص 16.

(*) - لقد صرف الفيلسوف (سقراط) حياته تمامًا للبحث عن الحقيقة والخير والاخلاق والمثل وهكذا، فإن هدفه كان واضحا يجعل الناس يفكرون بوضوح في الطبيعة المجردة للأخلاقيات كالعدل و الشجاعة مثلا، والانفصال عن العقائد والاعراف الموروثة والموضوعات المحسوسة. وهو لم يطالب بتدريس أية تعاليم، اكتفى بالتساؤلات التي تعين الناس على انتزاع الحقيقة من داخل أنفسهم بالتفكير وهو القائل، "لا أعرف سوى شيء واحد وهو أنني لا أعرف شيئا". فالفلسفة، لا تتقدم إلا عن طريق تبني منهج الشك والبحث الدائم ، لذلك اتجه للبحث في المسائل المتعلقة بالأخلاق وعقل الانسان و الروح الإنسانية، والبحث في الافتراضات الأولية الاسس النظرية للتساؤل الإنساني و عن اليقينييات والحقائق المطلقة توجد في عالم المثل والأحرار من قيود الجسد والمحسوس . وهذا عكس الفلاسفة مثل (طاليس) و(هرقليطس) قبل مجيء (سقراط) الذين كانوا يبحثون في الكون وقوانين العالم المادي وأصل الأشياء. تتعلق بوجود العالم وماهيته فقط.

(2) - عبد الله شمت المجيدل: تطور الفكر الفلسفي، من الفلسفة اليونانية إلى المعاصرة، مرجع سبق ذكره، ص23.

هذا الفيلسوف تجمع بين الحكمة الاخلاقية ودراسة المعالم والمبادئ التي تقوم عليها دراسة النفسية من حيث المعرفة والسلوك، ...

- وهي أيضا العلم بالحقائق المطلقة المستترة تحت ظواهر الاشياء، أنها علم العالم المعقول لأن الذي يقتصر على العالم المحسوس لا يدرك إلا ظل الحقيقة. ولذا فالحواس بالنسبة له تخدع ولا يمكن الاعتماد عليها. والحقيقة اليقينية في هذه الحالة لا توجد في الواقع المادي الحسي وهو يتسم بالوجود الحسي المتغير والزائل، بل توجد في عالم المثل الذي يتسم بالطابع التجريدي والمفارق للعالم المادي المتغير والمزيف هو عالم المثل الذي لا يتم إدراكه إلا بالتأمل العقلي المجرد، والفلسفة لها دور في هذا العالم.

- لكن في مقابل هذا التعريف، يقدم لنا الفيلسوف "أرسطو" "Aristote" (322-384) تعريفاً آخر ومنتقداً بذلك للفلسفات السابقة، خاصة الافلاطونية، حيث اهتمت فلسفته بالواقعية المادية وبالطبيعة والقوانين الطبيعية وأسببها. مركزاً على المبحث الفلسفي الذي ينظر في "الوجود من حيث هو موجود". "أي البحث عن العلة والأسباب الأولى بالسؤال: ما الذي يجعل الموجود يوجد ما عليه؟ وهذا يعني، البحث في الوجود و إدراك الجوهر والتعمق في التفسير والتعليل والبحث عن الأسباب والمبادئ الأولى وإبراز العلة والعناصر المكونة لهذا الوجود، فهي معرفة المبادئ وهي معرفة كل الاشياء معرفة كلية وشاملة عن طريق إدراك مبادئها وعلمها. وهو في الغالب يقول عنها، بأنها المعرفة التي تتصف بالتأمل الرفيع وانطواء العلوم تحت الفلسفة الأولى.⁽¹⁾ وقد أشار أيضاً، "أرسطو" أن الفلسفة هي "المعرفة العقلية والعلم بالمعنى الأعم".

- حاولت الفلسفة الكلاسيكية القديمة الاجابة على أسئلة أساسية تتصل بالموجود والميتافيزيقا، والمادة، والحياة والكون، وترتكز على مقولات المبادئ والعلة والماهية، لكنها تحولت للبحث عن دور الذات والانسان والتوجه للتساؤل عن المعرفة وفلسفة العلوم. ومن الواضح أن سبل وطرق التفكير تتغير وتتبدل تبعا لتغير الموضوعات و تتباين من سياق لآخر ، فإذا تطرق "المنطق الأرسطي" إلى الرياضيات والمنطق والأدوات العلمية والمقولات. فإن الفيلسوف "الاماني هوسرل" (Edmund Husserl، 1859)

(1)- عبد الله شمت المجيدل: مرجع سبق ذكره، ص ص 24-25.

(1938- الذي يعتبر من أكبر مجددى الفلسفة فى القرن العشرين ومؤسس " الفلسفة الظاهرية والوعى"، تطرق إلى موضوعات فلسفية لتحليل الظاهرة لهدف فهم أعمق لوجود الإنسان والعالم أيضا، وهذا لن يتحقق بالتححرر من كل رأى أو حكم سابق مالم يكن مبرهنأ برهانأ ضرورياً أو مستمداً بالبداهة،. يرى فى الفلسفة "منهج جديدا للبحث عن الحقيقة"، و اقتنع "هوسرل" أن الفلسفة تمثل "درسا معرفيا مهما"، يجد أهميته فى نفس مقام العلم. يرى فى "الفينومينولوجيا" كأسلوب فى التحليل وطريقة فى دراسة الوعى. ويضع فى المبدأ الأول منهج التوقف عن الحكم أو وضع بعض عناصر الموضوع بين قوسين ()، كل ما لا يبرهن عليه بطريقة يقينية⁽¹⁾. وعليه، فالمعرفة بحسب "هوسرل" "هى دراسة الموضوعات كما تبدو ظاهرة فى الشعور" وهنا تتعين مهمة «الفينومينولوجيا» كوصف بنية الشعور الخالص فى علاقته بموضوعات العالم واستخلاص معنى الظواهر بإرجاعها إلى البنية المقابلة لها فى الشعور الخالص، و كان يطلق على الفينومينولوجيا الفلسفة الأولى الوصفية الخالصة للطبيعة الماهوية المتعلقة بالمكونات الداخلية للشعور، وبهذا فقط يمكن تحقيق نموذج العلم الأصلي عند "هوسرل" والذي مجاله الذات الخالصة أو "الترانسندنتالية المتعالية" (Transcendental)،: والفلسفة بوصفها علماً دقيقاً، هى ذلك العلم الكلى الذى يقف على المعرفة بالماهيات وخصائصها الثابتة. بل يقصد فقط عدم استعمال الاعتقاد الطبيعى فى العالم، اذ اتاح هذا المنهج لهوسرل الانتقال من الموقف الطبيعى الى الموقف الفلسفى الترانسندنتالى⁽²⁾.

بناء على ذلك، يقول "هوسرل"، بأن تجاوز أزمة العلوم يكمن فى إعادة ربط البحث العلمى بأفاق العالم اليومى⁽³⁾، وهذا بتأسيس "علم فلسفى" خاص بالعالم اليومى وبالتجربة اليومية. وتبرز كيف يتأسس هذا العالم بالنسبة للوعى، ولكن ما يرفضه "هوسرل" هو القيام بفصل المعرفة العلمية عن

(1)- عبد الرحمان بدوى: مدخل جديد إلى الفلسفة، ط1، وكالات المطبوعات، الكويت، 1975، ص12.

(2)- ادموند هوسرل : أزمة العلوم الأوروبية و الفينومينولوجيا الترانسندنتالية ، ص 640-641.

(3) - يقول "هوسرل" أن معارفنا الأصلية هى معارف غير علمية، غير دقيقة وغير موضوعية أيضا، وأن عالم تجربتنا اليومى الأصلي الذى نعيش هو الاسبق للمعرفة العلمية. وعليه لا يمكن أن تنشأ المعارف العلمية إلا إذا توفرت على أساس فى عالم تجربتنا اليومى. لأن الموضوعات العلمية ليست معطاة من تلقاء ذاتها وليس اعتبارية، بل إنها تتأسس، مثل موضوعات الحياة اليومية، بفضل إنجازات للوعى القصدى انطلاقا من معطيات التجربة قبل العلمية وموضوعاتها.

المعارف اليومية وعن التجربة السابقة على العلم والفينومينولوجيا التي تشكل مبدأ أساسي في فلسفته ، تقوم بدعوتها للرجوع " إلى الأشياء ذاتها" ، وبإحالتها إلى أشكال لتجربة العالم والأشياء . والفلسفة عندما تتخذ إزاء العلم موقفا نقديا، فإنها لا تقوم إلا بممارسة مهمتها الأصلية. وهي بل تخضع كل شيء للنقد والتساؤل.

- إذا كانت فلسفة "هوسرل" تركز على الوعي والقصد فإن، الفيلسوف لودفيغ فتغنشتاين (Ludwig Wittgenstein) ، (1889 - 1951) ، فقد ركز على نقد الفلسفة التقليدية وهذا راجع حسب تقديره لعدم قدرة اللغة المستخدمة في توضيح أفكارها، يقول: "أن الفلاسفة قد وقعوا في حالة من الفوضى والارتباك والقصور نتيجة لميلهم إلى النظر للاستخدامات المتعددة للغة بطرق غير ملائمة وغير مناسبة". إن هذا الخلط - كما يوضح "فتغنشتاين" جاء من منظور النظر إلى اللغة وفق مسار خاطئ ، يقول، " أن المشكلات الفلسفة تتعلق بالمفاهيم والتصورات وليس بالوقائع، وبناء على ذلك، فإن الفلسفة هي محاولة توضيح تصوراتنا ومفاهيمنا، والانتقال من المصطلحات إلى الضرورات التي تحكمها". ويبدو أن الاهتمام الأساسي "لفتغنشتاين" في البحث، هو محاولة وضع تأسيس قاعدي مهم للغة والفكر والمعنى. وهذا يسمح بانتقال الفلسفة من مجال الموضوعات والأشياء الى مجال الالفاظ والمعاني والعبارات الفلسفية. يري "فتغنشتاين"، " أن الفلسفة مسألة إرادة وليس فقط مسألة عقل وفكر"، وقد أوضح في كتب مرجعية متنوعة أن الفلسفة، لها دور تفعيل من نشاط للفهم البشري وليس للمعرفة البشرية. وهكذا، قد تساهم وتعمل على الارتقاء بوعي الذات، وعلى الإدراك الناقد للقضايا المتنوعة وخاصة للأعراف والتقاليد والمسلمات والبدهييات والممارسات وصور العالم، وبذلك فإن العقلانية المرتبطة بالبحث الفلسفي، ستفهم في ضوء القدرة على التعامل مع الإشكاليات، وتصحيح الافكار السابقة وإنتاج معاني جديدة. فقد عارض "فتغنشتاين" الادعاء القائل بأن الفلسفة نظام معرفي يتم فيه اكتشاف معارف جديدة وبناء النظريات، فهو عكس ذلك، يتحدث عن تغيير مجال ومهام الفلسفة، لأنها أصبحت منهجا خالصا لا مجموعة من الحقائق واليقينيات، أي أنها أصبحت منهجا لتقويم

الالتباسات التي تنشأ من سوء فهم منطق اللغة أو عن الاستعمال الخاطئ لعباراتها.⁽¹⁾ ومعظم الاسئلة والقضايا التي تناولها الفلاسفة إنما تنشأ من حقيقة رئيسية كونها لا تفهم منطق اللغة. وهكذا يبقى موضوع الفلسفة موضوعاً يتحدد في مهمة التوضيح المنطقي للأفكار وتوضيح طبيعة القضايا ، وكل ما يمكن التفكير فيه على الإطلاق يمكن الحديث عنه بوضوح.

- لقد عرف "أبو الفلسفة الحديثة"، "رينيه ديكارت" (René Descartes 1596 – 1650)، الفلسفة، بأنها "طريقة خاصة من طرق التفكير" ويكون بذلك قد فتح عهد جديد من عصور الفلسفة و صاغ الدور المركزي للذات الانسانية في تأسيس المعرفة. و هو صاحب المقولة الشهيرة: "أنا أفكر، إذاً أنا موجود". يقول أن الفلسفة: "كمثل شجرة جذورها الميتافيزيقيا، وجذعها العلم الطبيعي، وأغصانها بقية العلوم، وهذه ترجع إلى ثلاثة علوم كبرى، هي: الطب، والميكانيكا، والأخلاق العليا الكاملة، وأن المعرفة التامة للأخلاق تعد أعلى درجات ومراتب الحكمة تتطلب معرفة تامة بالعلوم الأخرى"،⁽²⁾ ولتحقيق وظائف الفلسفة يجب أن يكون هناك منهجاً في التفكير يقود إلى معرفة و ضبط الحقائق ومعرفة حدودها، خاصة أن "ديكارت" ينطلق من التفكير الذي يستمد مبرراته من الشك لغرض الوصول إلى يقين ، وقد أثبت بفكره وجود «الأنا» وانطلق منها نحو إثبات معطيات وجودية وحقائق متنوعة كوجود الله والعالم الخارجي. فأعلى من شأن «الأنا أفكر» وركّز على تجربة العقل الفردية وعلى قوة تحرير الانسان المفكر خارج حدود الواقع والاكراهات المتنوعة..⁽³⁾

- لقد شكّلت التصورات النقدية والمعارف التي قدمها الفيلسوف "كانط إيمانويل" (Immanuel Kant) (1724 – 1804) مجالاً محورياً في تاريخ الفكر الفلسفي

(1) - عزّي إسلام: فتجنشتين وفلسفة اللغة، مجلة عالم الفكر، الكويت، 1973، ص ص 228 – 230.

(2) -عبد الرحمان بدوي: مرجع سبق ذكره، ص 15.

(3) - محمد سيّلا وعبد السلام بنعبد العالي: التفكير الفلسفي، دار توبقال للنشر ، 2008، ص 33.

عامة والأوروبي بصفة خاصة وفي بعض قراءات الفلاسفة في الوطن العربي^(*)، بحيث نظر إلى "فعل النقد العقل الخالص" الذي يخص الممارسة الفلسفية بالفعل الذي يفحص وبالتحليل والنقد أنظمة المعرفة التي تتمحور في العقل الخالص، الذي يبتعد عن أي صفة معرفية أو مذهبية أو دينية، وبذلك يتم التوجه للكشف عن أسس التفكير وآلياته بطريقة جديدة تتنافر عن الممارسات السابقة. يقول "كانط"، "أن الفلسفة مهمتها التحليل، وهكذا أصبحت للفلسفة مفهوماً آخر يركز في ممارسة النقد"، ويتحدد مشروعه الفلسفي في النقد الذاتي للعقل لتحديد ملكاته وحدوده في كتب مرجعية متنوعة: "كنقد العقل الخالص (1781) ونقد العقل العملي (1788). و نقد ملكة الحكمة (1790). حدد "كانط" مهمة الفيلسوف تحديداً دقيقاً، فهو لا يعنيه أن يكتشف مبادئ الوجود أو النظرة إلى العالم بقدر بل ما يهمله فعلاً، هو ممارسة النقد بالدراسة التحليلية لذلك، اهتم "كانط" في فلسفته كما هو معروف بنقد قدرات العقل المعرفية وبيان حدود هذه القدرات قبل تجربة المعرفة، أي أنه انشغل بدراسة العقل والذات العارفة.. وقد تطرق إلى مفاهيم أخرى يمكن أن نتحدث على سبيل المثال عن، المتعالي (الترنسندنتالي) وهو المبدأ الذي يفسر خضوع التجربة بالضرورة لتصورات العقل المستقلة عنها، وهو يشير إلى ما هو قبلي أولي، أي الإدراك غير التجريبي الفطري المحض. بهذا المعنى، وحسب "كانط" فإن

(*)- تطرق الباحث العربي "الجابري" لقضية ومشكلة "العقل" في الثقافة العربية، بحيث حمل هذا العقل مسؤولية التخلف والركود، فهو يقول أن المشكلة هي "مشكلة عقل، والأزمة هي أزمة عقل"، هذا العقل في نظر الجابري يحتاج لإعادة نظر وفحص من جديد، من حيث تركيبه وبنية المعرفة، وآليات عمله في التلقي والإنتاج المعرفي، وعليه يرى "الجابري" أن الفكر العربي مطالب اليوم بنقد المجتمع ونقد الاقتصاد ونقد العقل المجرد والعقل السياسي، وهذا للحديث عن النهضة والتقدم والوحدة في الوطن العربي. "إن عملية النقد هذه يجب أن تمارس داخل هذا العقل نفسه من خلال تعرية أسسه وتحريك فاعليته وتطويرها وإغنائها بمفاهيم جديدة من جوانب الفكر الإنساني المتقدم، ومن الفكر الفلسفي أو الفكر العلمي.

إلى جانب "محمد الجابري" فقد تطرق الباحث والفيلسوف "أركون محمد" في منهجه التفكيكي لبنية العقل الديني "نقد العقل الإسلامي" وطريقة اشتغال آلياته ودعوته لتبني منهج من خلال تحيئة أو تمهيد أرضية تراثية جديدة بتفعيل حركية العقل التي تتصل بتحول القيم وتغييرها بتغير العصور" أي أن القيم نجد مرجعها أيضاً في التطور التاريخي والاجتماعي التي تفرضه اللحظة. مما يعني أنه "بالإمكان إنشاء وصياغة مبادئ وقواعد جديدة تحل محل القديمة، تحرير الوعي الإسلامي والتوجه نحو مسار آخر الخروج من الحدود الدوغمائية المغلقة والدينية والعقائدية من خلال نقد للعقل اللاهوتي والتعصب الفكري والديني وظاهرة الأصولية، وبالتالي قيام عقل جديد، أو على الأقل تعديل أو تطوير أو تحديث أو تجديد للعقل السائد القديم... و"أركون" حين يتبنى هذا المفهوم، فهو يعتمد على الإيستيمولوجيا المعاصرة التي تقول: العقل يتطور من عصر إلى آخر، والدليل على ذلك أن الحقيقة تتغير، والعقل يتطور من عصر إلى آخر وهو ما يدعو أركون بالمعركة النقدية للواقع والتي تسمح بتعبيره "بتفكيك ونقد الخطاب الشائع، الذي يستخدمه المسلمون بصور متباينة والهدف من ذلك إيجاد آفاق جديدة لتأويل التراث وذلك عن طريق التفكيك المنهجي ومن ثم الوصول إلى فهم أفضل للمحتوى الموضوعي للرسالة القرآنية والسنة النبوية وأيضاً لفكر العلماء المؤسسين للتراث الإسلامي".

" الحدوس بلا تصورات عمياء والتصورات بلا حوس فارغة"، أي أن التجربة مستحيلة بدون شرطها القبلي في الفكر. وبالتالي يستحيل إدراك العالم أو معرفة إن لم تكن هذه القوالب والمفاهيم والمعطيات القبلية⁽¹⁾ (apriori) ولكنه موجود في نطاق العقل ويشكل شرطا قبليا للتجربة، الضرورية من أجل أن تتم المعرفة العلمية مثل: الحس والتجربة والمتعالي السابق للتجربة.

- فالمعرفة عند "كانط" واقعة موجودة ومتحققة، ويعتقد أن معرفتنا بالعالم الخارجي لها أساس في التجربة الحسية وترتبط بالمعارف القبلية التي تتحول من الانطباعات إلى مُدركات حسية إلى معطيات عقلية وتمثلات ذهنية. ولذلك يصبح العمل الفلسفي الرئيسي عنده هو « نقد العقل»، أو بعبارة أخرى: تشریح وتحليل المعرفة بصورة منطقية لمعرفة حدودها وطبيعتها. وهكذا، تكون المعرفة الحقة ممكنة بالجمع بين التجربة والعقل؛ وذلك لأن التجربة تتميز بالواقعية، بينما تتميز أحكام العقل بالضرورة والنقد، والعلم الحق يجب أن يكون واقعيًا وضروريًا معًا. ومن هنا ندرك أنه لا بد من الجمع بين الواقعية والضرورة، أي بين التجربة والعقل لتكوين المعرفة الحقة. يقول أن كل الموضوعات لا بد أن تتطابق مع تكوين أذهاننا حتى يمكن معرفتها، لأنه جمع كل ما هو أفضل في المذهب العقلي ولتحريري السابق⁽²⁾، ومادامت هذه الشروط عقلية، فإن العقل لازم لزوما تاما للتجربة. و التجربة الحسية تشكل عنصرا من عناصر المادة المعرفية و تبقى غامضة، لذلك يشترط حضور العقل الذي يتضمن القواعد والمبادئ الضرورية التي تجعل من التجربة مادة معقولة، وتمثل تلك المبادئ صورة المعرفة.

- إذا كان "ديكارت" أشار في فلسفته إلى أهمية الوصول إلى اليقين عن طريق العقل وتتبع خطوات متسلسلة في التحليل والتفكير، فإن التصور الذي قدمه (كارل ماركس) (Karl Marx 1818 – 1883) (يجمع بين الفلسفة والاقتصاد والاجتماع)^(*) يؤكد أن مجال

(1)- حسن حنفي : في الفكر الغربي المعاصر، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات للنشر والتوزيع، 1990، ص 111.

(2)- المرجع نفسه، ص ص 253-254.

(*)- ولقد أشار "كارل ماركس" عن هذا بقوله الشهير : " إذا كان العالم عند "هيجل" يعتبر انعكاسا ظاهريا لما أسماه الفكرة، فإن الافكار عندي ماهي إلا انعكاس للعالم المادي وترجمة له يقوم بها العقل البشري ". إذن يمكننا القول، أن الفلسفة عند ماركس، تركز على العالم المادي وأن مختلف الظواهر مرتبطة في المادة في حركتها والعالم ينمو حسب قوانين حركة المادة وهو ليس بحاجة للفكرة المطلقة والروح الشاملة والوعي..

الحقيقة قائم في طريقة فهم الظواهر الطبيعية والانسانية وتأويلها اعتمادا على مبادئ وقواعد محددة، تركز كلها على " الفلسفة المادية"، وهي تدخل في الفلسفة التي تقر، بأن المادة هي كل الوجود، وكل ما يتشكل في ذهن وأدمغة الناس هي أشياء مصعدة من حياتهم المادية وليس وعي الانسان هو الذي يحدد وجودهم، فالعالم المادي وحده العالم الحقيقي وأن العقل ليس إلا نتاجا لعضو مادي الذي هو الدماغ،⁽¹⁾ وهنا يجب التنويه لنقطة هامة في فلسفة "ماركس"، فهو لا يتبنى نفس الادبيات للفلسفات السابقة التي تحاول تفسير العالم ومعرفة الموجودات، فقد أشار إلى سبل تغيير العالم وتأسيس توجه فكري جديد يركز على المادية الجدلية⁽²⁾. ومن هنا، فهو يحلل الظواهر بأساليب تدافع عن العالم المادي، وبالتالي، فأى "عالم غير مادي هو عالم غير موجود ولا يمكن أن يوجد". تعتمد "أسس هذه الفلسفة المادية" على المبدأ الذي يقول بأن "المادة والكينونة هي وقائع ومعطيات مادية موجودة خارج الوعي"، وهذا عكس الفلسفة المثالية التي تؤكد بأن العالم المادي والكينونة والطبيعة لا توجد الا في وعينا وفي احاسيسنا وتصوراتنا وبالتالي يجب الحديث عن الوعي والفكر على اعتبار أن المادة سابقة للوعي وهي من تحدد مدارك الوعي. وهكذا، يتطور الوعي بتطور المادة المحيطة بالإنسان وبوجوده، لأن الوعي ظاهرة تابعة، ويشكل ما يسمى بـ"نسخة انعكاس"⁽³⁾

ذهب "ماركس" إلى الجزم بعدم وجود الحقيقة الخارجة عن المادة، ويرى أن التغيير ينطلق من المادة نحو العقل أو الفكر. فتاريخ الصراع الطبقي، القيم الاجتماعية، والأديان، على سبيل المثال هي انعكاس للواقع الطبقي والمادي المعاش، معتبرا أن المادة هي الأصل وأن الفكرة تابعة لها. والمادة ليس جامدة كما يعتقد البعض، بل لها صور أساسية وهي الحركة والتطور والزمان والمكان.

- انطلاقا من المهام الجديدة للفلسفة التي تعتمد على عمليات النقد، يقدم لنا الفيلسوف وعالم الاجتماع الالماني "يورغن هابرماس" (Jürgen Habermas) الذي ينتهى إلى المدرسة النقدية، مفهوما جددا للفلسفة، وقد اشار إلى ذلك في كتب كثيرة منها: "الخطاب الفلسفي للحدثة 1985"، "نظرية الفعل التواصلي" 1987، "أخلاقيات الحوار 1992"

(1)- أ.م. بوشنسكي: مرجع سبق ذكره، ص 95.

(2)- عبد الرزاق بلعقروز، مدخل إلى الفلسفة العامة، مرجع سبق ذكره، ص 26.

(3)- أ.م. بوشنسكي: مرجع سبق ذكره، ص 97.

تطرق فيها إلى العقلانية التواصلية النقدية، بحيث يربط الحقيقة بالعقل، ويكون بذلك من المفكرين والفلسفة الذين يرفضون الطرح الميتافيزيقي. فالحقيقة في نظره، لا تتأسس وجوديا، ولا بالتجربة، وإنما تتأسس على العقل، وتهدف إلى الإجماع وهذا في نظره لن يتم إلا بالتحول من فلسفة الوعي إلى فلسفة اللغة، لأن اللغة من أهم مكونات الحياة الاجتماعية ولها ارتباط بالفعل الانساني. وهذا يسمح بإبراز سلطة الخطاب النقدي البرهاني والاقناعي، فهو بهذا الشكل ينتقد فكرة سلطة الذات على أنها ملكة الوعي والإرادة. - لذلك فقد سعى "هابرماس" إلى إثبات عقلنة جديدة يسميها "العقلنة التواصلية" وتكون هذه العقلانية في مقابل "العقلنة الأداتية" المهيمنة على المجتمع خاصة الرأسمالي والتي تستعمل للوصول إلى أهداف غير خاضعة للطابع القيمي والاخلاقي والتفاعلي، أما "العقلانية التواصلية" تقوم مبادئها بإعادة ربط صلة الفرد بالآخر في مسار تواصل هادف يحترم مبادئ أخلاقيات المناقشة ويقود إلى التفاهم، الانسجام و الإجماع بالحوار القائم على المساواة، ومن دون أي إكراهات أو قيود،⁽¹⁾ من خلال ضبط اخلاقيات الحوار والنقاش بوصفها مدخلا لكل ترابط وتواصل اجتماعي يكون للجميع و يكون حصيلة التفاعل بين الذوات. وتكون فكرة الحقيقة مشروطة بمجال الخطاب الاستدلالي وبالعالم الأفكار وليس عالم الإدراك الحسي. وهذا عكس الافكار "الترنسدنتالية" و"الأمبريقية" التي تنظر إلى الحقيقة كإدراك حسي. يقول "هابرماس" أن الفلسفة مطالبة اليوم بالقيام بالنضال وتغيير من خصائصها ومناهجها من أجل تطوير استراتيجية نظرية معرفية عميقة لمواجهة التجريبية والاستقرائية والايديولوجية المهيمنة والتحرر من فلسفة الوعي والفكر التجريبي، والاهتمام باستراتيجية الفعل الاستراتيجي وفعل التواصل.. وهكذا يمكننا القول، أن أهم الانشغالات الفلسفية والسوسيولوجية "لهابرماس" تتجلى في بلورة ممارسة نقدية لمعطيات العلوم المعاصرة تحليلا عقلانيا ليصير مفهوم النقد في النهاية مفهوما فلسفيا اصيلا ترتبط بحقائق الوضع الاجتماعي الراهن واشكالياته المعقدة والمتداخلة⁽²⁾ وهذا ما يفرض ميكانيزمات جديدة لدراسة الفلسفة لكي تصبح

(1) -عبد الرزاق بلعقروز: تحولات الفكر الفلسفي المعاصر، أسئلة المفهوم والمعنى والتواصل، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص ص

.88-87

(2) - عمر مهيبيل: مرجع سبق ذكره، ص 313.

أداة لتفكيك الأفكار والمعتقدات ونقد الفكر الوضعاني. "فهايرماس" يحاول رد الاعتبار للتأمل والتفكير الفلسفي كممارسة وكفعل ونشاط فلسفي يعطي للعلوم التجريبية قيمتها الإجرائية الحقيقية وللعلوم الاجتماعية مكانتها الفعلية، أي محالة تفعيل العلوم الاجتماعية في إطار التنظير للعقلانية التواصلية والتحرر من هيمنة للعقل الأداتي، ولكن النظرية التواصلية التي يطورها "هايرماس" هي جزء من النظرية النقدية للمجتمع. لهذا فقد ألح "هايرماس" على أن تتحرر الفلسفة من عالمها الميتافيزيقي وتقوم بنقد التفكير العلمي والتجريبي، لأن الاستمولوجيا الوضعانية أساسها نفي التفكير والاستغناء عنه، بل إنها تنظر إلى التقنية نظرة أداتية، تحول الإنسان إلى وسائل وأدوات وسلع، فتقمع طاقاته الإبداعية والتحررية والتواصلية. مع إعادة البناء النقدي للمادية التاريخية ونقد العقلانية التي تفرضها المؤسسات وهيمنة منطق الربح والمال وثقافة التسلية التي تؤدي إلى تشتيت الإرادة السياسية وتغييبها من داخل الفضاء العمومي، ووسائل الاعلام التي تعطي الأولوية للمصلحة على حساب الصدق والحقيقة.

في مفهوم الفلسفة الإسلامية:

لقد تناولت الفلسفة الإسلامية الموضوعات والقضايا الكبرى التي تهتم بها الفلسفة، كالفرد والنفس وللوجود الكوني والالهي والطبيعي، وهي تختلف باختلاف الفلاسفة. وتستمد افكارها من الكتاب والسنة والاجتهاد، فالفلسفة الإسلامية التي تطورت على يد "الكندي" فيلسوف العرب، و"المعتزلة" (*)، و"الفارابي" و"ابن سينا"... تناولت مجموعة الأفكار المرتبطة بالله وبالخلق والإبداع

(*) - المعتزلة: فرقة كلامية إسلامية تنسب إلى "واصل بن عطاء الغزال"، وتميزت بتقديم العقل على النقل، نشأت في بداية القرن الثاني الهجري (80هـ - 131هـ - هـ في البصرة) في أواخر العصر الأموي، وقد ازدهرت في العصر العباسي ومن أشهر المعتزلة "الزحشري"، "والقاضي عبد الجبار". وقد خرجت المعتزلة عن السنة والجماعة في مصادر التلقي ومناهج الاستدلال والعقيدة وفي أصول الاعتقاد، و غلبت على المعتزلة النزعة العقلية فاعتمدوا على العقل في تأسيس عقائدهم وقدموه على النقل، فكانت حرية الاختيار للإنسان ومسؤوليته عن أعماله إعطاء مكانة كبرى للعقل البشري. فنفوا بذلك أن يكون الله خالقا لأفعال عباده. ورفضوا الأحاديث التي لا يقرها العقل، بحيث قدموا العقل لأنه أصل النص، ولا يتقدم الفرع على الأصل، بعكس أهل السنة الذين استخدموا العقل وسيلة لفهم النص وليس حاكماً عليه. لذلك نلاحظ أن من أخص خصائص المعتزلة أنهم يؤمنون بالعقل بالإيمان كله، يحكمونه في الأمور على اختلافها ويسيروا معه إلى أقصى حد، كما كان تأكيد المعتزلة على التوحيد، ويقصدون بذلك إثبات وحدانية الله ونفي المثل عنه والشبيهة. ويشيرون بذلك إلى قياس أحكام الله على ما يقتضي العقل والحكمة، المنزلة بين المنزلتين: وهذا الأصل يوضح حكم الفاسق في الدنيا عند المعتزلة، يعتقد المعتزلة أن مرتكب الكبيرة في الدنيا لا يسمى مؤمناً ولا يسمى كافراً، بل هو في منزلة بين هاتين المنزلتين، فإن تاب رجع إلى إيمانه، وإن مات مصرّاً على فسقه كان من المخلدين في عذاب جهنم. وهي المسألة التي اختلف فيها واصل بن عطاء مع الحسن البصري.

- حنان قصبي و محمد الهلالي: في المنهج، دفاتر فلسفية، نصوص مختارة، ط1، دار توفيق للنشر والتوزيع، العدد 32، المغرب، 2015، ص34-35.

والعالم والنفس الإنسانية، فالفلسفة من هذا المنظور، تفكير ونظر، وعلم ومعرفة، تشتغل عن طريق النظر والتأمل والتدبر و معرفة علم الأشياء بحقائقها والوصول إلى المعرفة النافعة والخالق وهذا بالاتصال بالعالم العلوي، أي النظر إلى الموجود بما هو موجود، بمصدرية متعالية. لا يمكننا أبدا تسليط الضوء على الموضوعات والقضايا التي شغلت عقول فلاسفة المسلمين في كثير من المواضع بشكل واسع ودقيق، فقد تعددت آراء الفلاسفة حول طبيعة الفلسفة الإسلامية، لذلك سنتوقف في رصد بعض التعاريف الجوهرية لبعض الفلاسفة ومنهم:

- لقد تناول "أبويوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي" المولود (185هـ/801م) والمتوفى في (256هـ/807م) في فلسفته ثلاث قضايا رئيسية وهي "الله، العالم، النفس"، يقول في كتابه المعتصم بالله في حد الفلسفة وعلو منزلتها: "إن أعلى الصناعات الإنسانية وأشرفها مرتبة صناعة الفلسفة"، التي حده علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان، لأن غرض الفيلسوف في عمله إصابة الحق وفي عمله العمل بالحق...ويجب أن يعمل الفيلسوف على تأكيد علم الحق الأول الذي هو علة كل حق...لأن علم العلة أشرف من علم المعلول.⁽¹⁾ علة وجود كل شيء وثباته الحق. وأشرف الفلسفة وأعلاها مرتبة الفلسفة الأولى: فيقول "الكندي" أعني "علم الحق الأول الذي هو علة كل حق". ومعه كل ما يحدث يرجع للإرادة الإلهية وحدها فالله هو العلة الأولى لكل حدث وهو العلة الأولى والمحرك الأول لوجود الوجود (الكون) ،⁽²⁾والعلة أرقى من المعلول في مراتب الوجود حصر المعرفة في العلم الإلهي، والعلم الانساني . فالأول هو الصادر عن الله و هو العلم الذي يوصلنا الى حقائق الغيب وغيره من الحقائق التي يعجز الانسان بمختلف بإمكانيته وطاقته الوصول إليها. أما الثاني، هو العلم الذي يصل إليه الانسان بطاقته ويشمل علم المحسوسات وعلم الامور العقلية. وهذا يدل على أن "الكندي" يحاول تجاوز الفلاسفة اليونانية التي تقوم على النظر المعرفي والالتزام العقلي، وادخالها في دائرة الالتزام العملي والباسها لباس المضمون الأخلاقي. وكان أول من مزج بين الفكر اليوناني والفكر الديني الإسلامي. بحيث

(1) -عبد الرزاق بلعقروز: مرجع سبق ذكره، 19.

(2) -محمد الحاج حسن الكمالي: محاضرات في الفلسفة الإسلامية، نظرية المعرفة في ثوب جديد، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات للنشر والتوزيع، 1993، ص 48.

شملت معرفته كل علوم الأوائل، فقد كان "الكندي" علي معرفة واسعة بالفلسفة باليونانية خاصة الفلسفة الأرسطوطاليسية و الأفلاطونية.

وفي هذا المنظور، يركز في تعريفه للفلسفة على البحث في حقائق الاشياء التي هي حقائق عامة للوجود وهو يؤمن بإثنية الوجود المادي والمعنوي أو الحسي والعقلي (عالمها العالم المحسوس أي المادي) والمعرفة العقلية (ومجالها الامور التي لا تدرك بالحس ، ولا يمكن الوصول اليها إلا بالطرق الاستدلالية وبالعقل مثل موضوعات العلم الرياضي والكيليات)⁽¹⁾. وايضا المعرفة الإلهية وموضوعها الله والشريعة ويسمها الكندي "علم الربوبية". ويقسم الكندي قوى النفس إلى الحاسة والمتوسطة والعاقلة ، أما "القوى الحاسة" فهي التي تدرك صور المحسوسات في مادتها وآلاتها الحواس الخمس ، أما "القوى المتوسطة" فهي القوى المصورة والمتخيلة وهي التي توجد صور الأشياء من غيبة حواملها عنها وتعمل في حالي (النوم واليقظة) و"القوى العاقلة" فهي التي تدرك صور المجردات دون مادة ، أي القدرة على التفكير.

- لقد تمكن " الفارابي" من تقريب الفلسفة اليونانية إلى الفكر الإسلامي؛. من خلال كتب شهيرة منها (آراء أهل المدينة الفاضلة) و(كتاب إحصاء العلوم) كتاب الجمع بين الحكيمين (أفلاطون وأرسطو) ، الذي شرح فيه نظام المجتمع الإنساني الأمثل، فبحث في علم الكلام والعقيدة والفضائل والآله والفقه والتشريع والأخلاق والموسيقى.. يرى الفارابي (أن الفلسفة هي العلم بالموجودات بما هي موجودة تركز جوهريا في دراسة الحكمة الإلهية والطبيعية والرياضية والمنطقية، والطبيعية والإلهيات وتصنيف العلوم وإحصاؤها)، إضافة إلى ذلك، يجب أن تقوم الفلسفة التي تدرس الموجودات دراسة الانسان و مشكلة النفس (كعقل تصور) وارتقائها في سلم المعرفة و علاقتها بالآخرين.⁽²⁾ وقد حاول التطرق إلى القضايا المتعلقة بالإسلام والمعرفة بشرح وتفسير أهداف الفلسفة، ويقول " لا يصح أن يقع الخلاف في الفلسفة لأنها مجرد إدراك للموجود بما هو موجود". تعمل على تغيير الآراء والسلوكيات، في المعتقدات وفي الأخلاق وإلى الدفاع عن سلوك الفلاسفة؛ فقد اهتم " الفارابي" بمشكلة المعرفة ، فيقول أنها تبدأ من

(1)- محمد الحاج حسن الكمالي: مرجع سبق ذكره، ص 59.

(2)- عبد اله شمت المجيدل: مرجع سبق ذكره، ص ص 110-111.

المعرفة الحسية بإدراك الجزئيات بصورها المادية التي تخضع للمعقولات في مراتب وتصنيفات أي تتداخل قوى أخرى لإتمامها، ثم تأتي المعرفة العقلية التي تشمل ادراك المعاني الكلية لاستخدام العقل المنفعل أو العقل بالقوة وهو فارغ من المعلومات لكنه مستعد لتقبل المعلومات ثم تأتي مرحلة تمييز العقل بالفعل أو الملكة وتكون الذات الفاعلة قد اكتسبت بالفعل ما لم يكن فيها وتأتي المرحلة الأخيرة التي تميز العقل المستفاد وهذا بإتقان المعقولات كلها وبالتالي يصل على العقل الفعال،⁽³⁾ كما شملت فلسفته نظريته التي تسمى "بالفيض"^(*)... كما تكمن غاية الفلسفة عند "الفارابي" في معرفة الخالق وأنه واحد غير متحرك، وأنه العلة الفاعلة لجميع الأشياء، وأنه المرتب لهذا العالم بجوده وحكمته، ويترتب على هذه الغاية عند "الفارابي" أن ((الأعمال التي يقوم بها الفيلسوف هي التشبه بالخالق بمقدار طاقة الإنسان.

- يقول "ابن رشد" (520 هـ - 595 هـ) الفلسفة هي "النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع"، وبالتالي فإن فعل النظر والاعتبار هو التفكير في الموجودات من حيث أتمها مصنوعات. وكان "ابن رشد" فيلسوفاً وفقهياً وكان متميزاً عن الفلاسفة السابقين لكونه يتناول الخطاب الفقهي دفاعاً عن شرعية الفلسفة وحالوا إعادة تنظيم المعرفة الفقهية والارتقاء إلى مستوى النظر والاجتهاد في كتب كثيرة ومن أشهرها و أبرزها: "فصل المقال وتقرير ما بين الحكمة والشريعة من الاتصال وبداية المجتهد ونهاية المقتصد"، ويقول يجب أن تقوم الفلسفة بمحاولات توفيق مع الدين، لأن دورها يتصل بصدق الاستدلال وليس صدق المبادئ والمقدمات لأن هذه الأخيرة موضوعة يجب التسليم بها دون برهان، وهكذا فإن واجب بالشرع وجوب النظر العقلي. ولكن ليس لأي كان، بل لابد للناظر فيها أن يكون قد "جمع أمرين أحدهما ذكاء الفطرة والثاني العدالة الشرعية والفضيلة

(3) - عبد اله شمت المجيدل، مرجع سبق ذكره، ص 111.

(*) - يرى بعض الباحثين والمفكرين، بأنه لا يفهم "الفارابي" إلا من خلال معرفة لنظرية الفيض: إن الله لم يخلق هذا العالم الفاسد (المتغير) لكن العالم فاض عنه فيضاً وصدور عنه صدوراً عقلياً، والفيض يصدر آلياً عن الواحد وليس الوجود غاية العلم الواحد بل يصدر الوجود عن الواحد تلقائياً لكماله وجماله المطلق (ونظرية الفيض يرجع عهدها إلى قدامى اليونان). هكذا بنى "الفارابي" نظريته في الفيض ونظام الكون، وهي نظام العقول أولها الله المحرك الذي لا يتحرك، و العقول التي تحرك الأفلاك السماوية، "الفلسفة الفيضانية" هي أساس كل تفكير، والمعرفة الإنسانية عنده مرتبطة مباشرة بنظام الوجود العام، وهي مرتبطة أيضاً بتسلسل الموجودات عن الأول، فكما أن الوجود بدأ بالوحدة وينتهي إلى الكثرة، كذلك تبدأ المعرفة الإنسانية النظرية وفي حركة معاكسة لحركة الفيض من الكثرة إلى الوحدة، لأن المعرفة رجوع من أدنى إلى أعلى، رجوع من الكثرة إلى الوحدة، فدرجات الإدراك عند "الفارابي" ليست في الواقع سوى مراحل هذا الصعود من المحسوس إلى غير المحسوس أي من الكثرة إلى الوحدة:

العلمية والخلقية". أما ذكاء الفطرة، فشرط ضروري من الناحية العقلية المحض، ناحية القدرة على التعامل مع العلم. وأما العدالة الشرعية فهي هنا بمعنى الأمانة العلمية بلغة عصرنا،⁽¹⁾ وجوب استعمال القياس العقلي والشرعي معا، حيث إن نصوص "ابن رشد" كانت تحت وتشير إلى وجوب استعمال القياس العقلي في الأمور، كما أنه دعا إلى التفكير والتأمل في الأدلة الدينية،^(*) كما أنّ من أهم ما ميّز ابن رشد هو القياس البرهاني، والذي يستند إلى البراهين أو ما كان يسميه هو القياس السليم.

يمكن القول، من خلال التعاريف السابقة التي تطرقنا إليها، بأنها تحمل جملة من الأفكار عبر عصور مختلفة و ثقافات وسياقات متباينة، وهي تهتم بالجانب الفكري و المعرفة و الجانب العملي في الفعل الإنساني . لكن الملاحظ أن المواضيع والممارسات الفلسفية تتعدد و تتنوع بتنوع مشكلاتها ومساراتها ومدارسها، وبتعدد الفلاسفة أيضا وهذا الاختلاف النوعي في تحديد وظيفة الفلسفة ومواضيعها وفي تشخيص الموضوع الرئيسي للبحث الفلسفي ، يحيل جوهريا إلى تنوع وتباين التفكير الفلسفي، في النظر إلى الإنسان والعالم والله والروح والنفس....من وجهات نظر مختلفة. وهذا التعدد حسب رأي الباحث "طه عبد الرحمان"، في كتابه " الحق العربي في الاختلاف الفلسفي" يعود حصريا إلى قسمين كبيرين، أحدهما يتعلق بالتعاريف الإستشكالية التي تنظر إلى الفلسفة بكونها مجموعة من الاشكاليات والاسئلة التي يتولى الفيلسوف إثارتها ويجتهد في الجواب عنها، أو بكونها جملة من الحقائق والنتائج التي يحاول الفيلسوف طلبها ويجتهد في استنباطها، والقسم الثاني يشمل التعاريف الاستدلالية وهي في الاصل ترتبط بمنهج الفلسفة، إذ تعرف الفلسفة بكونها طريقة في البحث تخص بممارسة الاستدلال المنطقي وإستعمال النظر النقدي⁽²⁾.

(1) - للمزيد من التفاصيل عن الموضوع أنظر: حمد عابد الجابري، ابن رشد : العلم والفضيلة، مجلة فكر ونقد الالكترونية .

http://www.aljabriabed.net/n14_01jabri.htm

(*) - ومن هذا المنظور، فإن "ابن رشد" يشدد على كلمة "النظر" و"الاعتبار" و"التفكير" و"الرؤية" وهي أدلة دينية على وجوب النظر العقلي في الموجودات والشرع دعا إلى اعتبار الموجودات بالعقل وتطلب معرفتها به، وهذا ما تشير إليه بعض آيات كتاب الله تعالى، مثل قوله: ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾. ومثل قوله تعالى: ﴿أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء﴾. ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت﴾ ﴿أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض﴾ وهذا نص بالحث على النظر في جميع الموجودات. لذا نجده يتوجه إلى هذا بالاستدلال بالقرآن على وجوب النظر العقلي، لقد اثبت "ابن رشد" أن الشرع دعا إلى اعتبار الموجودات لأن النظر في الموجودات نظر عقلي.

(2) - عبد الرزاق بلعقروز: مدخل إلى الفلسفة، مرجع بيق ذكره، ص 28.

وأغلب المفاهيم تمس بالدرجة الأولى التحولات المميزة لحركة الفهم والتفكير والنقد ووجود المعرفة وتطورها ، فإذا كانت التصورات السائدة في البداية خاصة في الثقافة اليونانية تركز على ضرورة دراسة ومعرفة الموجود ومعرفة الأشياء التي كانت لها غايات أخلاقية و النظر في الكون والعالم فإن النظرة الحديثة للفلسفة أخذت توجه أخرى ، خاصة بعد عصر النهضة، والتحرر من سلطة الكنيسة والمعتقدات والقيم السائدة، وبروز حركات الإصلاح الديني والثورة العلمية والثورة السياسية و الأنوار وصولاً إلى الثورة المعرفية^(*) وبدأت الفلسفة تنظر إلى المسائل المتنوعة كالفعل والذات والتأمل والتأويل، التفكيك. وهكذا إذا كانت الفلسفة ينظر إليها كممارسة تجعل من "الأنا المفكّرة معياراً للوجود في الطرح الديكارتي"، وينظر إلى العقلانية كمصدر للمعرفة واليقين، فإن هذه النظرة تغيرت، فالتصور العقلي سرعان ما وجهت له انتقادات واسعة ليتم الاهتمام بالتجريب^(**) والنفوس والذات، كونها تدخل في مصادر المعرفة. بحيث اهتمت الفلسفة الحديثة بمشكلة المعرفة، بمراجعة المفاهيم الفلسفية القديمة، فضلاً على إعادة الاعتبار لأسئلة المعرفة و القيمة و الاخلاق والتقنية، الوعي، السياسة، القانون، الدين، الإرادة، وانفتح الفكر الفلسفي على ميادين كانت مهمشة أو مستبعدة كالخطاب مثلاً وكتابة التواريخ المنسية ، كتاريخ العقوبة والسجن وغيرها من المفاعيل اللاعقلانية⁽¹⁾. مع الاهتمام بفلسفة العلوم التي تهتم بمنطق ومنهج العلم وخصائص وشروط المعرفة العلمية وكيفية تقدمها وتطورها، وهي في الاصل، تقدم آليات معرفية ومنهجية التي تساهم في انتاج المعرفة العلمية وإزالة المشاكل والعقبات التي تعرقل المسيرة العلمية.

وهكذا أصبح البحث في المجالات الفلسفية، عملاً يستثمر الكثير من الإمكانيات المعرفية و المنهجية والفكرية التي أفرزتها تحولات العلوم الإنسانية المعاصرة والعلمية المتطورة والقراءات والتصورات المتنوعة المختلفة كأعمال "نيتشه" "Nietzsche" الجينياالوجية و "مقاربة فوكو "

(*)- نذكر في هذا السياق "ميكافيللي" Machiavelli " و الذي اهتم بالحريات السياسية والعقلية، و نظرية "غاليللي" Galilee الفلكية التي أحدثت تغيراً جذرياً في الانجازات العلمية الحديثة، ونيوتن (Newton) في قوانين الحركة والجاذبية وحركة الأجسام على الأرض. (**)- يمكن أن نذكر التعريف الذي قدمه "فرنسيس بيكون"، يمثل الاتجاه التجريبي في الفلسفة الأوروبية الحديثة ويعرفها على أنها (تفسير وصفي للكون عن طريق الملاحظة والتجربة) .

(1)-عبد الرزاق بلعقروز: مدخل إلى الفلسفة، مرجع يبق ذكره، ص 26.

Foucault الحفرية والتفكيكية ومع "ماركس" و "فرويد"، و فردريش هيغل (F. Hegel) (*). ،
وكارل بوبر، (Karl Popper) (**). الذي يتحدث عن منطق تبرير المعرفة العلمية بمنطق الاكتشاف
العلمي، أي انتقلت معه الفلسفة من منطق التبرير إلى منطق الكشف العلمي والاهتمام بتقديم
المعرفة بمعالجة منهجية منطقية ، يتم هذا في خضم السياق الذي يفرض أيضا الاهتمام بمرحل
تطور الفكرة وتقدمها...وقدم نقدا لفلسفة العلم القائمة على الاستقراء: (Induction) والتي تقوم
على تتبع ومعرفة الجزء للحصول على حكم كلي⁽¹⁾ ونفس الشيء بالنسبة للملاحظة والتجربة كونها
تتصل بالحكم الخاص باستخدام الحواس غير الموضوعية في العالم.

(*) - يقول أن الفلسفة: " معرفة الحقائق الثابتة " ، و تنشأ على الدوام من خلال التفكير النقدي المتواصل.

(**) - كارل ريموند كارل بوبر (1902 - 1994) فيلسوف نمساوي-إنكليزي متخصص في فلسفة العلوم ومناهج البحث العلمي .

(1) - حنان قصبي و محمد الهلالي: في المنهج، دفاتر فلسفية ، نصوص مختارة، ط1، مرجع سبق ذكره، ص 69.

المذاهب الفلسفية :

يؤكد أغلب الفلاسفة أن البحث الفلسفي لا يخص مجالا معرفيا واحدا، بل يتعدى ذلك إلى مجالات متنوعة، بمعنى أن القضايا والموضوعات التي تقوم بدراستها متنوعة للغاية. فهي في الأصل تدرس العديد من الأشياء والوقائع والحقائق والموجودات، كالدين، الأخلاق، و الفلسفة السياسية والادراك والعلم والذاتية والظواهرية والمادة والمعرفة أو نظرية المعرفة : من أين تأتي المعرفة وما هي مصادرها؟ ما هي طبيعة المعرفة وأصولها؟ ما هي وسائل المعرفة وشروطها؟ ما هي حدودها الممكنة؟ ما هو الجمال؟، ما هو الفن؟ ما هي طبيعة العلاقات بين الجسد والعقل؟. "كيف يعمل ويشغل الإدراك؟ ما هي مبادئ فلسفة المنطق وفلسفة العمل؟ وما هي فلسفة التاريخ؟ وفلسفة اللغة ما هي العلاقات التي تربط بين اللغة والفكر؟ ما هي الحقيقة؟ وما هي عناصرها؟ ما هي المذاهب الفلسفية؟ كيف تنظر المذاهب الفلسفية لأصل الكون؟

وقبل أن نتحدث عن المذاهب الفلسفية وجدنا أنه من الضروري الحديث عن نظرية المعرفة التي يشار إليها: بأنها مجموعة من المفاهيم والمعتقدات والأحكام والتصورات الفكرية التي تتكون لدى الإنسان نتيجة لمحاولاته المتكررة لفهم الظواهر والأشياء المحيطة به. كما تتضمن المعارف والعلوم والمعلومات التي اكتسبها الفرد خلال مسيرته الطويلة بحواسه وفكره وعقله.

والواقع أن ممارسات تحليل "المعرفة الانسانية" من كل جوانبها، فتحت المجال واسعا لتطور المذاهب الفلسفية بمختلف أنواعها. ويشكل هذا الموضوع (تطور المعرفة وتشكلها) أهم مشكله تناولتها الفلسفة، وهي تتضمن عنصرين: الأول، يتعلق بالشخص العارف أو الذات العارفة، (الذات المدركة)، والعنصر الثاني، الشيء المعروف (الموضوع المدرك).⁽¹⁾ وتغلب اهتمامات الباحثين والفلاسفة بهذا الموضوع كون الفلسفة ترمي أولا إلى المعرفة التي تأتي من التمهيد الدقيق والنقد النافذ للأسس التي تقوم عليها آراؤنا وأحكامنا ومعتقداتنا⁽²⁾ فالتعريف الخاص بها يتعلق بمعرفة الحقائق وطرق التأكد من صحتها، فهي تطرح العديد من الأسئلة ومن بينها : من أين نحصل على المعرفة وكيف نحصل عليها؟ بأي طريق أو بأي وسيلة أو منهج نصل إليها؟ ما هي طبيعة المعرفة؟ وما هي أفضل الطرق الموثوق بها التي تكتسب بها المعرفة؟ هل المعرفة مطلقة أم نسبية؟ وما هي قيمة

(1)-عمار الطالبي، مدخل إلى عالم الفلسفة، دار القصة للنشر، الجزائر، ص ص 157-158.

(2)- محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي: التفكير الفلسفي، مرجع سبق ذكره، ص 59.

هذه المعرفة ؟ وهل بإمكاننا الحصول على الحقيقة مع اليقين؟⁽²⁾ . وتشير الكثير من القراءات أن المعرفة، فرع من فروع الفلسفة، التي تبحث في معنى وحقيقة المعرفة والمسائل المتصلة بها، مثل مسألة الحقيقة، والخطأ والشك واليقين، والاعتقاد والبرهان، والادراك والحدس....

ومن المعروف أن، المعرفة الفلسفية تطورت مع تطور مختلف الأبحاث المتعلقة بالتفكير النقدي والتحليلي والتي تبحث في مبادئ المعرفة العلمية الدقيقة، و دراسة مناهجها أو مفاهيمها أو نظرياتها أو تاريخها. فالسؤال الفلسفي، لدى اليونان كان "سؤالا انطولوجيا" لأنه يبحث في أصل الوجود. أما السؤال الذي اختص به التطور الحديث لمجال الفلسفة، فينتهي إلى السؤال المعرفي أو (نظرية المعرفة)، خاصة مع انتشار أعمال "ديكارت" أو "كانط" أو "لوك" أو "لبننتز"، أو "فرانسيس بيكون". وهكذا يمكننا القول أن المعرفة^(*) كانت مرتبطة بأبحاث الوجود إلى أن ظهرت موجة من الفلاسفة الذين اهتموا بطبيعة المعرفة، ومنهم "جون لوك" "1632-1704" الذي كتب "مقاله في الفهم الإنساني" عام 1690 م ليكون أول محاولة لفهم المعرفة البشرية وتحليل الفكر الإنساني وعملياته، وأيضا "فرانسيس بيكون" باعتباره رائد المدرسة الحسية الواقعية والذي يقول "إن المعرفة لا يمكن الحصول عليها إلا عن طريق الحواس وما لا يمكن معرفته عن طريق الحواس لا يعتبر موجودا"، كما ساهمت تصوراته في إعادة النظر في مفهوم الحقيقة والمعرفة، ولم يعد يتوصل إليها بالحدس، والإلهام، أو بنوع من التجريد العقلي، بل تحولت إلى حقيقة نسبية تتحقق عبر التاريخ.

كما تناول الفيلسوف "ديكارت" موضوع الشك المنهجي والعقلانية، أي أن العقل البشري مفطور على معارف وعلوم أساسية يمكن عن طريقها أن يتوصل إلى المعارف والعلوم الأخرى وهو صاحب المقولة المشهورة: "أنا أفكر إذن أنا موجود" فإن الفيلسوف كانط (1724 - 1804) حدّد من جهته أيضا طبيعة المعرفة وحدودها وعلاقتها بالوجود، وتحدث عن العناصر القبلية للمعرفة. والحقيقة، لم تعد الفلسفة معرفة للعالم فقط، بل تفكير في المعرفة بالعالم و البحث في إمكان المعرفة وحدودها⁽²⁾

(1) - André Comte-Sponville, La Philosophie, éditions pointe delta, 2009 , p 83.

(*)- ولقد خاض الفلاسفة في هذه المشكلة، فمنهم من جعل المعرفة تعتمد على المحسوسات وحدها واعتبرها معيار الصدق والحقيقة والصواب واليقين والخطأ والعدم والوجود، ومنهم من اتخذ العقل مقياسا لكل حقيقة وبالتالي انكار الحس، ومنهم من اقتصر على الاحتمال وأنكر اليقين ولا يرى هناك حقا مطلقا أو معرفة شيء في ذاته وإنما الفرد هو مقياس كل حقيقة.

(2)- حسين على، ما هي الفلسفة، التوزيع والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2011، ص 117.

قبل الحديث عن المذاهب الفلسفية من الضروري تعريف المذهب على أنه "مجموعة من المعتقدات أو المبادئ أو الآراء أو المفاهيم التي يتبناها مجموعة من الباحثين أو الفلاسفة أو المنظرين حول موضوع أو قضية أو مجال معرفي معين... " وهي أيضا تشكل نظامًا فكريًا تتميز بأنها تقدم المفاهيم والنماذج التفسيرية اللازمة للفكر.

وفي مجال الفلسفة ، يشير الكثير من الباحثين إلى تنوع المذاهب الفلسفية وتنوع المدارس الفكرية التي تميزها مثل العقلانية الكلاسيكية ، والتجريبية ، والفلسفة المتعالية ، والمثالية ، الظاهرية...، ونحن سنركز على أهم المذاهب التي كانت رائدة في الحقل الفلسفي من خلال التعرف على التيارات الفكرية التي أرسى أسس المذاهب الفلسفية .

- الفلسفة التحليلية :

من الضروري الإشارة هنا إلى أن التحول الكبير الذي شهدته التيارات الفلسفية هو ظهور الفلسفة التحليلية التي قدمت للباحثين والمنظرين والفلسفة الكثير من الأدوات المفاهيمية والمنهجية والحجج المعرفية التي تجعل من الممكن المشاركة في تحليل الكثير من الظواهر، عن طريق التركيز على في دراسة اللغة التي تُصاغ بها المفاهيم ومختلف الأطروحات والحجج والنظريات. فهي بذلك تؤكد على مركزية فلسفة اللغة في جميع التخصصات والمعارف الفلسفية الواسعة والتي تتضمن في شكلها الجوهري تحليل اللغة كأسلوب فلسفي والتي تؤدي في نهاية الأمر إلى مناقشات واسعة .

صحيح أنه لا يمكن تعريف "الفلسفة التحليلية" انطلاقًا من الأفكار ومنطلقات المذاهب الفلسفية الخاصة، مثل المثالية أو التقليدية أو التجريبية أو العقلانية أو الواقعية، لكنه من المفيد الإشارة إلى أنه من الممكن أن نفهم الفلسفة المعاصرة والفلسفة التحليلية " Philosophie analytique " من خلال فهم الأسئلة الفلسفية الرئيسية الخاصة بها، وهذا بالعودة إلى الأعمال الفلسفية المنطقية "لكارناب" و"كارل بوبر" ، وأيضا التوجه بشكل خاص نحو فلسفة اللغة "لفيتجنشتاين" و" سيرل"... بواسطة التحليل المنطقي للغة وإبراز مختلف أخطاء التفكير التي يمكن أن تحدثها. وبالتالي فإن الرهان يقوم هنا على "التوضيح المنطقي للأفكار".. وهكذا، إذا تم تصور عالم الميتافيزيقيا والوجود على أنه نظام أساسي للمعرفة والتحليل في العصور القديمة، وإذا كانت نظرية المعرفة قد لعبت دورًا مهمًا في جميع التخصصات الفلسفية في العصر الحديث، فإن فلسفة

اللغة كان لها دورا متميزا في العصر الحديث. وفتحت الباب واسعا للكثير من الفلاسفة الذين قدموا تصوراتهم الواسعة بطريقة مختلفة تقوم على المنطق التحليلي⁽¹⁾.

فلسفة الفينومينولوجيا :

إلى جانب فلسفة اللغة، من الواجب أيضا الإشارة إلى بروز "الفينومينولوجيا" *phénoménologie* " وهو في الواقع "تيار" متعدد المعاني والتصورات المعرفية ويتضمن قراءات ووجهات النظر المختلفة، بسبب تنوع تخصصها وثنائها الفكري والتحليلي والمعرفي الكبير. تركز مبادئ هذا المذهب أو التيار على متابعة ووصف المعنى المنسوب إلى تجربة ما ، من وعي الذات التي تعيشها (علم تجربة الوعي). بالإضافة إلى ذلك، تشير هذه الابحاث الفلسفية على دراسة الأفكار التي تظهر من خلال الإدراك الحسي. و دراسة مجموعة من الظواهر والأشياء بالتركيز على كيفية الظهور في التجربة الحسية ، بغض النظر عن أي حكم. ومن هنا يمكن القول أنها يتم تحقيق إدراك الأشياء عن طريق الوعي أو الفكر فقط وتجاوز المعتقدات المباشرة ، مع رد الاعتبار لعناصر الذاتية والقصدية ووعي الانسان المستقل والتعالى ووصف الظاهرة والماهيات (الحقيقة المرتبطة بمعطيات التجربة وعناصر الدلالة والتجربة الواعية) ...

فلسفة العلم :

من الواضح أيضا، أن " فلسفة العلم " " La philosophie des sciences "⁽¹⁾ باعتبارها فرع من البحوث الفلسفة الجديدة، تقوم بطرح الأسئلة المركزية التي تبحث في طبيعة وصحة المقولات العلمية، وكذلك تطور الفكر العلمي بالتعرف على طريقة إنتاج العلوم والنظريات العلمية، يشير الكثير الكثير من الفلسفة المنشغلين بهذا الحقل المعرفي، مثل فيلسوف " برتراند رسل " " غاستون باشلار " " إدغار موران ". "توماس كون" " ألبرت اينشتاين " " فرانسيس بيكون".... أن مجالها يتمدد ليشمل استخدام أساليب منهجية وعلمية وطرق الاستنتاج التي يمكن استخدامها في مجالات

(1) - Michel Seymour, PROFESSION PHILOSOPHE, Presses de l'Université de Montréal, 2006, pp 13-18.

(2) - أنظر في هذا الشأن : محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية .

واسعة، بما في ذلك الميتافيزيقا ، والمنهج العلمي ، والعلوم والقيم ، وحتى تاريخ العلم، والكيمياء والفيزياء والأنثروبولوجيا والاقتصاد وعلم الاجتماع. يتم ذلك أيضا عن طريق تحليل مختلف النتائج والنظريات العلمية، والتعرف على طريقة صياغة استعمال المناهج العلمية. علاوة على ذلك، تساعد هذه الفلسفة على تحليل مختلف أشكال وأنماط وطبيعة التطورات المتصلة بالمعرفة العلمية بتنوع مجالاتها وتطبيقاتها والبحث عن الحقيقة والتقدم والمعرفة والتطور التكنولوجي وتحول الظروف المعيشية والتنظيم في المجتمع.⁽¹⁾

إلى جانب ذلك، ستظهر الكثير من التوجهات الفكرية والتصورات الفلسفية التي ساهمت في بروز الكثير من المذاهب والتيارات ومنها: الوجودية (هايدجر ، سارتر) ، الإدراك (ميرلوبونتي) ، ظاهرة الروح -التاريخ (هيجل) ، التطور الإبداعي (برغسون) ، الأخلاق وتفسير الكتاب المقدس والعلوم والفلسفة الحديثة (سبينوزا)، يقين الفكر (ديكارت). الذات والانطباع. "دافيد هيوم" الهوية المتعالية للذات "كانط"... "غاليليو" وتركيزه على الفيزياء الحديثة، "نيوتن" مع العالم المادي، "داروين" واهتمامه بالنظرية التطورية. يمكن أن نضيف هنا، أعمال "ليوناردو دافنشي" في مجال فن الرسم. و " هيجل" في موضوعات الحرية والدولة.... هذا دون نسيان تصورات هيراقليطس في الحركة والتطور (كل شيء حركة)، و هوبز (الإنسان ذئب للإنسان) ، وكذلك هيوم (الأفكار تأتي من الحواس) ، و هوركهايمر (العقل يهيمن) ، و نظرة هابرماس التواصلية (العقل تواصلية).

وواقع ، لقد طرحت الكثير من الأسئلة المرتبطة بقضايا المذاهب الفلسفية وبمصدرها ومبادئها، خاصة تلك التي تحاول دراسة طبيعة المعرفة ودورها وتطورها . أكيد أن الأسئلة المفتوحة والواسعة لهذه المذاهب جعلت من الممكن النظر لمجال الفلسفة على أنها معرفة نقدم مفاتيح مفاهيمية ومقاربات ونماذج تحليلية جديدة، وهكذا، إذا كان الفيلسوف في العصور والحضارات القديمة "سيد الحقيقة" لأنه يبحث دون ملل للوصول إلى هذه الدرجة العالية من المعرفة والبحث في قضايا: الوجود ، الوقت ، العدم ، الروح ، السببية ، أو الحركة. وممارسة علم الفلك والطب و العلوم الطبيعية⁽²⁾ وهي كما عرفها "الفيلسوف شيشرون" بقوله هي "الطب الحقيقي للروح". فإن "جيل

(1) –François Duchesneau , Philosophie des sciences , DANS LE LIVRE SCIENCES, TECHNOLOGIES ET SOCIÉTÉS DE A À Z, Pp. 171-174 - <https://books.openedition.org/pum/4336?lang=fr>

(2). - Jean-François Dortier , Qu'est ce que la philosophie ? Hors-série N° 16 - Mai-juin 2012.

دولوز" وفيليكس غوتاري" (1) أكدا على أن الفلسفة هي "ممارسة ابتكار المفاهيم". وهي ضرورية للتفكير. وهذا يشير أيضا إلى تطور وتحول انشغالات الباحثين في دراستهم لموضوع الفلسفة الذي شهد تطورا من حيث التناول والنقد والبحث والتحليل. في حين تحاول الفلسفة الجديدة تنظيم المعرفة، وإرساء المبادئ الأساسية التي تحكم العالم والكون والانسان بمفاهيم وتصورات وتجارب مختلفة ومتناقضة احيانا، ومنها على وجه خاصة العقلانية (le rationalisme) (مع ديكارت وليبنيز وسبينوزا) الذي تفرض العودة إلى العقل في فهم وتحليل الظواهر، وهذا كون المعرفة العقلية يقينية ومستقلة عن التجربة، وصالحة عالميًا وغير قابلة للشك. والتجريبية (l'empirisme) (هيوم ولوك). التي تؤكد على أن المعرفة تنبع من الاستقراء والخبرة الحسية.

لهذا، فإنه من الواجب دراسة هذه المذاهب الفلسفية ومعرفة كيفية تشكيل المعرفة الإنسانية، وفي هذا الصدد، يجب الإشارة إلى اختلاف الفلاسفة في نظرتهم إلى طبيعة هذه المذاهب الفلسفية، فمنهم من ذهب إلى أن العقل هو المصدر الأول والأساسي للمعرفة وهؤلاء هم "العقليون"، ومنهم من ذهب إلى أن التجربة الحسية هي المصدر الأول والأساسي للمعرفة، وهؤلاء هم "التجريبيون"، ومنهم من ذهب إلى أن الحدس والإلهام هو المصدر الأول والأساسي للمعرفة، وهؤلاء هم "الحدسيون". ومنهم من جمع بينها وبين الوحي. والاختلاف في المصادر الأساسية للوصول إلى المعرفة، ومنهم من ذهب إلى أن المادة هي مصدر المعرفة ولها الأولية على الوعي والفكر... وستتناول بالتفصيل هذه المذاهب مع ابرز مبادئ بعض المذاهب الرائدة ومعرفة توجهاتها وافكارها وروادها.

1- المذهب العقلي: Le rationalisme

تعتبر العقلانية كاتجاه فلسفي قديم يرى أن العقل هو المصدر الأول للمعرفة، ويزعم أنه يمكن الوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود عن طريق الاستدلال العقلي بدون الاستناد إلى التجربة البشرية، فأول شيء يجب على الإنسان معرفته هو أنه يمتلك ملكة التفكير وهي الأداة الأساسية في البرهنة، وهو بذلك المقياس الذي يتميز به بين الأفكار الصحيحة والأفكار الخاطئة، وبين الأفعال الخيرة والأفعال السيئة، فالإنسان في رأي اصحاب هذا "المذهب العقلي" لا يتلقى العلم والمعرفة من الخارج، بل من داخل عقله هو، وهذا العقل يتميز بمبدأ الهوية، كون الشيء هو نفسه ولا يمكن أن يكون غير ذلك، وبعدم

(1) - Félix Guatari , Gilles Deleuze, Qu'est-ce que la philosophie ? éditions de Minuit, 1991.

التناقض، والعلة والمعلول، حرية التفكير، والكلية مشتركة بين كل الناس⁽¹⁾...ويقول "الكندي": في هذا الإطار، " أن العقل حر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها".

و يعتبر "رونيه ديكرت" ، و"سبينوزا" و "لايبنتز" ومن أبرز رواد هذا المذهب الفيلسوف " أفلاطون" صاحب " نظرية الاستذكار" الذي قال أن : " العقل هو الضمان الوحيد والضروري لإدراك المعرفة" والمعرفة العقلية حسبه سابقة على التجربة الحسية، وقد قال "ديكرت" أيضا في هذا الشأن، "إن العقل هو أعدل قسمة بين البشر" ، ويرى "ليبنيز" أن "جميع القضايا الصادقة يمكن معرفتها بواسطة الاستدلال العقلي الخالص. ولذلك فإن العقليون تصورا العقل على أنه ملكة فطرية.⁽²⁾ و لتبرير ذلك قدموا مجموعة من الحجج التي يمكن تلخيصها :

- أن للعقل مبادئ فطرية و قبلية سابقة عن كل تجربة، و ليست متولدة من الحس. والحواس شيطان يضللنا ويوقعنا في الأخطاء، وبالتالي يجب إخضاع كل شيء في الوجود للعقل لإثباته أو نفيه أو تحديد خصائصه، فالحقيقة من خلال هذا التصور، ليست ما نراه وما نحس به أو ما نره بشكل مباشر ، كما أن الحواس لا تدرك نفسها بنفسها وكل حاسة لا تستطيع أن تحس بحاسة أخرى.

- بالإضافة إلى ذلك، هناك الكثير من الحالات النفسية والصفات، خاصة النوعية كالقدرة والعلم والادراك والخوف والخجل والعشق والغضب لا تدرك إلا بالاستدلالات العقلية بينما الحواس عاجزة عن ادراكها، وإذا كان أحد يكتب أمامنا، فالحواس لا تدرك إلا حركات اليد والخطوط المرسومة، وتعجز عما وراء ذلك من معاني، والعقل يتوصل إلى الاطلاع على أشياء كثيرة جراء ذلك . وكذلك عندما ننظر إلى السماء نراها عبارة عن قبة زرقاء تحتوى على كواكب شبيهة بمصابيح منيرة أو دنانير موزعة وهي ثابتة لا تتحرك، ولكن عندما ننظر إليها بالعودة إلى قوانين وضوابط العقل الذي يدرك أن قرص الشمس أكبر من الارض بأضعاف مضاعفة، وكذلك الكواكب الأخرى هي متحركة وليست ثابتة،⁽¹⁾ كذلك الطفل الصغير دائما في ازدياد مستمر والحواس تراه واقفا عن طريق التجربة الحسية الادراكية فقط، ولا يمكن فهم ذلك إلى بالعقل.

- تنتهي إلى النظام الفلسفي الواسع والمعقد الذي بموجبه تخضع كل ظواهر الكون لعلاقة سببية مفهومة وقوانين ثابتة.

- وفق هذا الطرح، تعتبر العقلانية طريقة فلسفية للتفكير، وأن كل شيء موجود له تفسير عقلائي ويمكن وصفه والتعرف عليه بالعقل البشري. لذلك فهو يدعو إلى استخدام العقل في جميع أنشطة المعرفة وتحليل وتفسير الظواهر. تحيل العقلانية إلى تلك " النزعة الفلسفية " التي تعتبر أن العقل أساس بناء

(1) - يحي هويدي: مقدمة في الفلسفة العامة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1989، ص 138.

(2) - إدريس خضير: مرجع سبق ذكره، ص 287.

المعرفة بما يتوفر عليه من قواعد ومبادئ ضرورية (المنطق الأرسطي) وأفكار فطرية (المنهج الديكارتي) ومبادئ قبلية (الأطر القبلية الكانطية) غير مستمدة من التجربة. و مبدأ العلية القائل أن لكل علة معلول و لكل معلول علة، ومن الأفكار الفطرية و البديهية فكرة وجود الله، و وجود الذات الذي مرده التفكير يقول ديكارت (انا أفكر فأنا اذن موجود أو ، الأكبر يحتوي الاصغر، أو الانسان ينمو، الإنسان يعيش ثم يموت ... ويتحقق هذا بإقامة بين العقل والمادة علاقة العلة والمعلول.⁽²⁾ بعبارة أخرى، لن يكون من الممكن معرفة الواقع والحقيقة إلا من خلال تفسير الأسباب التي تحدده خارج سجلات الحس والحدس.

- إن العقلانية وحدها لها القدرة على معرفة الحقيقة وإثباتها. ترفض العقلانية أي تفسير ميتافيزيقي وتعارض التصوف والروحانية (mysticism, au spiritualisme) و تتضمن الانتقال من العام إلى الخاص. والتوصل إلى الاستنتاجات، كما أنها تركز في مبادئها على الحقائق الفطرية التي لا يستطيع الفرد بلوغها من خلال التجربة.

وقد اتفق العقليون على أن: العقل قوة فطرية مشتركة بين الناس جميعا وينطلق من مبادئ عامة، فالقول بأن (الكل أكبر من الجزء) أو (الشيء الواحد لا يمكن ان يكون موجودا وغير موجود في وقت واحد)، و كقضية الكل أكبر من جزئه، و أن ثلاثة عدد فردي، أن المستقيم ليس معوج، و أن الجسم ممتد... كلها أفكار واضحة و بسيطة لا يشوبها الخطأ، وعليها إذن تنشأ المعرفة وتتكون الأفكار الصحيحة، مثل مبدأ الهوية القائل: أن الشيء هو دائما ذاته، و لا يكون شيئا آخر، و مبدأ عدم التناقض القائل أن المتناقضين لا يجتمعان معا، كأن نقول (2+4=6). فهذه المبادئ وغيرها مبادئ عقلية تتصف بأنها: معارف قائمة بذاتها، سابقة للتجربة وليست نتيجة لها، تتصف بالضرورة أي لا تحتاج على برهان آخر لإثباتها، ولا تختلف هذه المعارف باختلاف الناس أو بتغير الأزمنة والأمكنة، فالعقل قوة فطرية عند جميع الناس بغض النظر عن أجناسهم و ألوانهم وقيمهم، وهو ملكة ذهنية بها ندرك المعرفة ونصدر الأحكام وتحدد السلوك ، والعقل واحد بين الناس⁽¹⁾،

كما أن العقل يتأسس على مبادئ عالمية "كمبدأ الهوية" ، لذلك اعتبر أصحاب المذهب العقلاني أن الفكر الصادر عن العقل فكر خالص يمكن الوثوق به ثقة مطلقة، لأنه يتسم بطابع الضرورة والكلية، وهاتان العلامتان تكفيان للدلالة على صدق قضايا المعرفة من حيث إنها قضايا واضحة بذاتها وقبلية، أي سابقة عن كل تجربة،⁽²⁾

(1) - أ.م. بوشنسكي، ترجمة: عزت قرني: الفلسفة المعاصرة في أوروبا، مرجع سبق ذكره، ص 25.

(2) - يوسف كرم: يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، ط5، ص ص 68-69.

(3) - حسين علي: مرجع سبق ذكره، ص 134.

يقوم موقف رواد هذا المذهب على التسليم بأن للعقل مبادئ جاهزة، أو طرقاً فطرية هي التي تقوده إلى معرفة حقائق الأشياء. فهم بذلك لا يرفضون دائماً ما تقدمه الحواس من معارف ومعلومات، ولكنهم يؤكدون على أنها معلومات لا ترتبط باليقين، وتبقى مصدر لفهم التصورات والأفكار البسيطة، وكمثال على ذلك: نحن نرى السراب على أنه ماء إلا أنه غير ذلك، ونرى الأرض ثابتة لكنها في الواقع تدور، وكذلك "حين نرى الشمس نتخيل أنها قريبة منا في حين أنها تبعد بكثير عن كوكب الأرض، والسبب في هذا التصور الخاطئ هو الجهل بالمسافة الحقيقية التي تفصلنا عنها". تعتبر العقلانية أن المعرفة تقوم على مبادئ المنطق، والمساعد في تحديد بعض العوامل والتأثيرات التي تنتج من أسباب معينة. وهذه المبادئ المنطقية تتصل بالأفكار المسبقة أفكار مسبقة، وبالتفكير الاستنتاجي. وهذا ما يحاول رواد هذا المذهب الدفاع عنه، فالفيلسوف "ليبنيز" على سبيل الطرح، حاول إثبات وجود الكبر الحقائق التحليلية المستقلة تماماً عن التجربة الحسية. لذلك يعتقد العقلاني الخالص أنه يستطيع الوصول إلى المعرفة إلى المعرفة ومعرفة عناصرها وإثباتها من خلال عمليات التفكير.

يدل مضمون هذا المذهب على ملكة وقدرة التفكير التي تميز الإنسان، كما يدل على النشاط أو الفاعلية التي يبني من خلالها الإنسان معرفته بالواقع. وذلك بإضفاء المعقولية على الظواهر، بربط بعضها ببعض بعلاقات سببية انطلاقاً من قوانين وقواعد منطقية. فالعقل، هو الذي ينشئ المفاهيم ويصوغ القوانين عن طريق بناء منطقي. وبهذا يكون الاستنباط المنطقي والتحليل الذي يمثله العقل الرياضي قادراً على فهم الطبيعة لأنه منبع النظرية ومنبع الخيال والإبداع. وهذا ما ذهب إليه أيضاً الفيلسوف "رونيه ديكار" الذي دافع عن مقارنة جديدة للعلم والفلسفة، بحيث شدد على تحليل المشكلات المعقدة والمركبة وتحويلها إلى معطيات بسيطة، وعلى أهمية ضمان صدق الحلول التي يقدمها شخص ما بالاعتماد على العقل والادلة القاطعة بدلاً من التقاليد والاعتقادات والأعراف السابقة، وغير ذلك.⁽¹⁾

وفي هذا الإطار، قام "رونيه ديكار" بتجسيد مشروعه في هذا المذهب من خلال نشر العديد من الأعمال الفلسفية، ولا سيما كتابه الشهير خطاب المنهج (1637)، Discours de la méthode (1637) والتأملات الميتافيزيقية (1641). Méditations métaphysiques. وهكذا يصبح ديكار، أحد الفاعلين الرئيسيين للعقلانية الحديثة، مستعينا بمنهج الشك للتمييز بين الحقائق، وكان شعاره ضرورة للبدء بالشك في الأشياء الحسية وأمور العالم المادي. وقال أن الحواس كثيراً ما تخدعنا وأن الموجودات الحسية واقعة في الأعيان خارج الأذهان إننا حين نشك في حقيقة الأشياء المعروضة على حواسنا فإننا نزيح كل معرفة

(1). - كريس هوريز إمريس ويستاكوف، ترجمة ليلي الطويل، التفكير فلسفياً (مدخل)، وزارة الثقافة السورية، الهيئة العامة للكتاب، 2011، ص

غير قائمة على حدس من حدوس العقل على اعتبار أن "الحدس" هو الرؤية العقلية المباشرة التي يدرك بها الذهن بعض الحقائق لتجعل منه النفس يقينا لا يناقضه شيء أو هو نظرة من نظرات العقل تصل درجة وضوحه إلى حد يزول معه كل شك وهو عقلي لا يتعلق بالحواس ولا الخيال، بل خاصية الذهن الخالص الرياضية لا على العالم التقريبي الذي تمدنا به إدراكاتنا الحسية .

و يعد كذلك الفيلسوف الهولندي " باروخ سبينوزا " (Baruch Spinoza) (1632 - 1677) . من أهم رواد التغيير في تاريخ التفكير الغربي، وقد تطرق إلى المعرفة في سياقات متعددة، يعتبر كتاب "الأخلاق" من أهم الكتب التي يلخص فيها "سبينوزا" مذهبه والأفكار التي طرحها عن العقلانية وكان أول من فسر الكتاب المقدس تفسيراً عقلياً، يقول "سبينوزا" " أن جوهرنا الحقيقي هو معرفتنا العقلية النشيطة التي تؤدي إلى إنهاء عزلتنا، وتسمح لنا بالمطابقة بين أنفسنا والطبيعة (الله)" والمعرفة عند "سبينوزا" هي الإدراك الصحيح، فعبر عقلنا وعبر المعرفة العقلية النشيطة التي تكون بعلاقة بكل شيء بالله، ... وهكذا فقد كان "سبينوزا" فيلسوفا عقلانيا اعتقد أننا نتوصل إلى معرفة جوهر الأشياء عن طريق الحدس العقلي، وكان يعتمد المذهب الاستنباطي .⁽¹⁾ ومجمل القول، يدخل " التصور السبينوزي " ضمن التصور العقلاني الذي ينطلق من أن كل شيء في الوجود خاضع للضرورة بما في ذلك الإنسان.

كما أن أغلب فلاسفة المذهب العقلاني يعتبرون العقل أصدق وخير مقياس الحقائق ولا يؤدي إلى الخطأ إطلاقاً، فليس هناك تطابق بين الفكر والواقع وينبغي البحث عن اليقين الذي يكون فيه الفكر مطابقاً للواقع بالضرورة وكما يقول ديكارت " أنا أفكر إذن أنا موجود " بمعنى أنا موجود حين أفكر ومن حيث أنني أفكر وكوني أفكر، أن لي وجوداً نفسياً ووجدانا أو وعياً . وعليه فإن أول خطوة من خطوات معرفتنا هي اكتشاف وجود أنفسنا أو ذواتنا وأنه لا يجب الثقة في حكم حواسنا . ولهذا نجد أن قواعد هذا المذهب تؤكد أن الطبيعة الفطرية للأفكار وعلى مساهمة مبادئ العقل البشري في المعرفة والتي تكون مستقلة عن التجربة.

2- المذهب التجريبي: Empirisme

إذا كان "المذهب العقلي" يركز على القدرات العقلية في فهم الأمور والحقائق ومعرفة جوهر الأشياء ، ويُبرز دور العقل أولويته على الإيمان والخرافات والاسطوريات والمظاهر الحسية والعالم الخارجي وفي

(*) - وله العديد من الكتب، منها : "رسالة في اللاهوت والسياسة 1670" رسالة في مبادئ فلسفة ديكارت 1660 " رسالة في إصلاح العقل.

(1) - غنار سكيريك، نلز غيلجي: ترجمة حيدر حاج اسماعيل، تاريخ الفكر الغربي من اليونان إلى القرن العشرين، ط1،

المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2012، ص 440.

قدرته ترجمة الوقائع والأحداث وبناء المعارف، فإن "المذهب الحسي" على عكس ذلك، يرجع طبيعة المعرفة وقوانينها ومادتها إلى التجربة، لأنها مفتاح المعرفة الحقة، فلا "يوجد شيء في العقل ما لم يوجد الحس"، والتجربة التي مصدرها الاحساس هي المنبع والمصدر الرئيسي لكل الافكار. وبالتالي فإن كل المعرفة تأتي من التجربة وتشكل بذلك العنصر الأساسي للمعرفة.

وفي هذا السياق، صرح الفيلسوف جون لوك (1632 - 1704) John Locke: "بأنه "لا يوجد شيء في العقل إلا وقد سبق وجوده في الحس أولاً". مضيفاً "لو كان الناس يولدون وكانت في عقولهم أفكار فطرية لتساواوا في المعرفة". وبهذا يكون "جون لوك" من الفلاسفة التجريبيين الذين أكدوا على أولوية التجربة في مجال المعرفة الإنسانية، وهو يثبت مراراً أن "المحسوسات هي أساس تكوين الأفكار، لأن العقل لا يمكنه أن يتصور الأمور بدون حس، والتجربة هي وحدها التي تكون الافكار في عقولنا والمعارف الإنسانية"⁽¹⁾ وهذا ما جعل الكثير من الفلاسفة يقولون أن هذا المذهب يشير إلى مجموعة من المبادئ الفلسفية التي تجعل التجربة الحسية (من خلال حواسنا) أصل كل المعرفة.

هكذا، تعتبر التجربة بأن المعرفة تقوم على تراكم الملاحظات والحقائق القابلة للقياس (التجارب)، والتي يمكن من خلالها استخلاص القوانين العامة من خلال الاستدلال الاستقرائي. لأن الإنسان (العقل) يلد صفحة بيضاء ليس فيه معارف سابقة عن التجربة و ذلك في قوله لا وجود لمعرفة خارج الواقع ولا وجود لمبادئ نظرية أولية، ورأى لو صح وجود معان فطرية وقضايا مورثة لتساوى في العلم بها الناس في كل زمان ومكان،⁽²⁾ والعقل في هذه الحالة قابل أن يستقبل ما تزوده التجربة من مفاهيم ومبادئ والاحساس الذي ينقل إليه صور المحسوسات من ألوان وأبعاد وأشكال... وبالتفكير تنشأ الصور الذهنية من تخيل وتذكر وغيرها⁽³⁾. يعتقد التجريبي الخالص، أنه يجب على المرء إجراء تجارب، وبدون هذه التجارب، من المستحيل الوصول إلى المعرفة. على سبيل المثال، يمكن توضيح أن مذاق السكر "حلو" فقط عن طريق التجربة. كما أن الأحكام العقلية تتغير بتغير الزمان والمكان وتختلف باختلاف ظروف الأعمال و مجالات البحث و المعارف المكتسبة. و إذا انطلقنا من هذا المثال التالي سنفهم تماما ما الذي يقصده "جون لوك" بالتجربة، "الطفل لا يعرف النار إلا بعد لمسها".

تتمحور أفكار هذا المذهب، في تأكيد مصدرية المعرفة، وتجاوز البناء التحليلي الفكري والميتافيزيقي والاعتماد على الخبرة كمصدر لنظم المعرفة وليس العقل، وتعارض على وجه الخصوص مع عناصر

(1) - إدريس خضير: مرجع سبق ذكره، ص 281.

(2) - يحي هويدي، مرجع سبق ذكره، ص 140

(3) - المرجع نفسه، ص 281.

وممكنات الفطرة . ومن أشهر الفلاسفة التجريبيين " ابن الهيثم " (*) الذي دافع عن استخدام الطريقة التجريبية والمنهج العلمي واستقراء النتائج لاكتساب المعرفة و "جون لوك" الذي حاول في كتابه ، "مقالة في التفكير الانساني" ، أن يرجع جميع التصورات المعرفية والافكار إلى الحس. وهو أول من طبق الاسلوب التجريبي في الفلسفة. وكذلك "جورج باركلي" الذي كان يرى بأن "أفكارنا هي ذاتها العالم الخارجي" و "ديفيد هيوم" الذي اعتبر أن "كل المعارف هي ذات أصول حسية، حتى المعارف العقلية هي ذات أصول حسية"، وقد قسم الادراكات الحسية إلى الانطباعات أو الاثار الحسية،... وهذه الادراكات لها نفس المصدر وهو الخبرة الحسية. (1) ويرى أن "أفكارنا" ما هي إلا مجرد صور لانطباعاتنا الحسية ولا وجود لفكرة خارجة عن مجال المدركات الحسية، ويمكن للإنسان أن يحس ما شاء ولكن تصوراته لا تخرج عن الخبرات التي مارسها بالحس، فالفكرة التي نحملها عن لون البرتقالة أو طعمها أو شكلها ما هي إلا فكرة من فكرة عامة مؤلفة من عدة عناصر من لون ورائحة وشكل....

و "يضيف هيوم" ، أمثلة متنوعة بقوله، هل بإمكان الأعمى أن يعرف ما هو اللون والاصم ما هو الصوت؟ ولو أرجعنا إلى العمى بصره والاصم سمعه لأدرك الأول ألون والثاني الصوت، أما بدون ذلك فلا يمكن لأي منهما إدراك خصائص الحاسة المفقودة وهذا دليل قاطع على أن افكارنا لا يمكنها أن تخرج عن مجال الانطباعات الحسية. (2) وبالتالي، جميع الأفكار الموجودة في العقل البشري (حتى الخيال والذاكرة) هي نسخ من الأحاسيس الأصلية والانطباعات المباشرة. لهذا يرفض هيوم فكرة التفكير الذي يسبق الإحساس. وهكذا، فإن الكفيف لا يستطيع أن يتخيل الألوان. وبالتالي ، فإن غياب الحواس يؤدي بطبيعة الحال إلى غياب المعارف الصحيحة، يبرر أصحاب هذا المذهب أفكارهم بالقول أن الإنسان يدرك الموضوعات والأشياء والوقائع بالحواس وهي ميزان معرفة حقائق الموجودات، لأنه من فقد حاسة ما فقد المعاني المتعلقة بها، وجميع أفكارنا تتطور و تتسع مع ما نكتسبه من خبرة في حياتنا اليومية، فلو كانت المبادئ الكلية موجودة و المعاني الفطرية لتساوي في العلم بها جميع المخلوقات و لكان الحيوان أحق بهذه المعرفة. فالمادة (التجربة) هي التي دفعت الإنسان إلى الازدهار والتقدم عبر التاريخ منذ استقرار الإنسان في الأرض. وحتى المفاهيم الأكثر عمومية وتجريدية هي في الواقع حسب تصورات رواد هذا المذهب عبارة عن تمثيلات مستمدة من التجربة، أو أنها تبقى في نهاية الامر كمجرد تخيلات خالية من المعنى..

(*) - محمد بن الحسن بن الحسن بن الهيثم أبو على البصري، عالم مسلم ولد في مدينة البصرة جنوب العراق عام 965م، سنة 1038 م عن عمر 73 عام. قدم الكثير من الإسهامات النوعية في علم الادراك البصري والبصريات والفيزياء والرياضيات والمنطق والفلسفة خاصة الفلسفة العلمية

(1) - محمد الشبه، مرجع سبق ذكره، ص 37.

(2) - إدريس خضير : مرجع سبق ذكره، ص 282.

وفي هذا السياق، فقد أكد رواد هذا المذهب أيضا على أن مبادئ هذه الفلسفة الحسية رافقت العمليات التجريبية وكذلك ولادة العلم الحديث، والاستخدام المكثف لمختلف للعمليات التجريبية، والتأكيد على أن المعرفة مصدرها الحس والتجربة وليس العقل ومنهجها استقرائي وليس استنباطي، وبالتالي الانتقال من الملموس إلى المجرد. أي أن المعرفة تنتقل من أشياء معلومة إلى أشياء مجهولة بواسطة التجربة التي تستند إلى تراكم الملاحظات ومختلف الحقائق القابلة للقياس، والتي يمكننا استخراج قوانين عامة من خلال الاستدلال الاستقرائي.

وبرزت أهمية هذا المذهب الذي شهدا تطورا على مستوى التفكير والممارسة كما اشارنا إلى ذلك، إلى "جون لوك"، و"باركلي"، و"ديفيد هيوم"، و"ستيوارت مل"، وفرانسيس بيكون (1561-1626) الذي ألح على ضرورة العودة دوما إلى المنهج القائم على التفكير التجريبي. وهذه التجربة تنفي وجود معارف أولية بوصفها مبادئ معرفية صحيحة ومؤكدة، كما أنها تبنى المعارف على الظواهر الحسية بالاعتماد على الطريقة الاستقرائية في الاستدلال والتفكير، ستكون بذلك مفهوم السببية مرتبطة بالتجربة، حيث يقول الفيلسوف "بيكون" إن المعرفة التي لا تستمد من التجربة ليست يقينية⁽¹⁾. لأن كل المعارف والمعتقدات والأذواق البشرية تنبع من التجربة الحسية الداخلية أو الخارجية.

وإذا كان المذهب العقلي يركز على العلة والمعلول بتصوير الافكار التي لها صلة أي متصلة ببعضها البعض اتصالا ضروريا لا يقبل أي مناقشة، لأنها ضرورة عقلية غير مستمدة من الواقع التجريبي، فإن "هيوم" رفض أن تكون هناك ضرورة عقلية أولية، وقال أنه "لبد من اللجوء إلى التجربة الحسية لتفسير الضرورة العقلية، لأنها المصدر اليقيني⁽²⁾، وهكذا، فإن "المذهب التجريبي" حسب هذا الفيلسوف يتصل بأليات نفسية من أجل تفكيك الاعتقاد بقانون النسبية والضرورة، بوصفهما مجرد شعور يرسخه التكرار والتعود، فالطبيب يزداد اقتناعا بفاعلية دوائه كلما ازداد نجاحه حتى يتحول تخمينه الاول إلى يقين،⁽³⁾ فجميع العمليات العقلية ردها "هيوم" إلى قانون تدهي المعاني إما بالتشابه أو التجاور في الزمان والمكان والسبب أو الأثر، فاللوحة المرسومة لبحر أو منزل تذهب بنا على الأصل أو تتداعي إلى الأصل، وذكر "المستشفى" مثلا يؤدي طبيعيا بنا مباشرة إلى التحري عن الأماكن القريبة أو الحديث عنها، وإذا فكرنا في الجرح مثلا لا نكاد نتوقف عن الالم الذي يتلوه، وبهذا يكون التداعي هو انتقال الذهن مما هو معطي في

(1) - عبد الله شمت المجيدل، مرجع سبق ذكره، ص 194.

(2) - يحي هويدي، مرجع سبق ذكره، ص 142.

(3) - يوسف كرم، مرجع سبق ذكره، ص 181.

إدراكي الأنّي أو الحاضر إلى ما هو غائب عن إدراكي. (1) وهنا يجب التنويه ، إلى أن الفلاسفة التجريبيين لا ينكرون أن العقل يمكن أن يلعب دورًا في عملية المعرفة أو يساهم في بناء المعرفة أو إثباتها، إنهم يرفضون فقط فكرة أنه يمكن أن تكون هناك معرفة عقلانية بحتة أو مسبقة عن التجربة .

يقول رواد هذا المذهب، أن الفلسفات العقلانية لا تستطيع أن تبعد بالفطرة المعاني و التصورات و ليست لها القدرة على معرفة الصدق، خاصة أنها أهملت الجانب المادي والمحسوس ولا يمكنها الوصول إلى المعار واليقين .. لهذا، رفض التجريبيون التسليم بالأفكار الفطرية الموروثة والمبادئ العقلية البديهية، والقواعد الخلقية التي لا تأتي اكتسابا، ويقول "جون لوك": " لو سألت الإنسان متى بدأ يعرف لأجابه متى بدأ يحس" كما أنكروا الحدس واعتبروا أن الإنسان قبل التجربة يكون صفحة بيضاء فهو لا يعرف شيئا ، إذ يبدأ في اكتشاف العالم الخارجي عن طريق الحواس والتجارب ، كما أننا في الواقع نعرف الملموس قبل المجرد، والخاص قبل العام . فالأبيض ليس الأسود و اللذة ليست الألم، وهكذا، فالعقل يبدأ في تكوين المعرفة حينما يتزود بالإحساس، ونجد هنا المقولة الشهيرة "لجون لوك": "إذا سألك سائل: متى بدأت تفكر، فيجب أن تكون الإجابة: حينما بدأت أحس".(2).

و يقول الفيلسوف "جون لوك"(3) في هذه النظرية، بأنه ليس في العقل شيء جديد، وذلك لأن لولا وجود الحواس لما كان للأشياء الخارجية فضلا عن وجودها في العقل، فقد أنكر وجود الأفكار والمبادئ الفطرية في ميدان العلم النظري وميدان الأوامر الاخلاقية والعلمية على السواء، فكان انكاره هذا بمثابة إعلان صريح منه بإنكار كفاية العقل المحض، وعجزه عن الوصول إلى أي علم يقيني بطريق الفطرة، وقد تبعه في هذا الرأي كل من الفيلسوف، "هيوم وجون" "ستيورات ميل". والعلم أيضا يعود إلى التجربة التي تعتبر مقياس المعارف الإنسانية.

3- التوفيق بين التجربة والعقل:

بالإضافة إلى الأفكار التي قدمناها سابقا عن المذاهب العقلانية والتجريبية، يمكن أن نضيف هنا طبيعة المعرفة التي تعتمد على العقل والحس، ونستحضر في هذا الصدد، "الامام الغزالي"، (*) الذي يقول أن المعرفة تبدأ بالمعرفة الحسية التي يدرك بها الانسان ما حوله من أشياء وموضوعات خارجية، وهي سابقة عن الادراك العقلي أو النظري لأنها غريزية وفطرية، وبذلك فهو – الانسان- يدرك الاشياء الحسية

(1) – عبد الرزاق بلعقروز، مرجع سبق ذكره، ص 81.

(2) – حسين على: مرجع سبق ذكرهن ص 133.

(3) – أرفلد كولويه، ترجمة أبو العلا عفيفي: مرجع سبق ذكره، ص 222.

(*) – أنظر : عبد الله حسن رزق: نظرية المعرفة عند الغزالي، مجلة المسلم العربي، العدد 48، لبنان ، 1987.

بالاعتماد على نشاط الإدراك الحسي ، غير أن العقل يأتي ويلعب دورا مهما في تفعيل نشاط الإدراك العقلي بحيث يتخذ من الضروريات الطبيعية والمحسوسات مقياسا للنظر، ويستدرج الحس من النظر في المحسوسات إلى النظر في المعقولات، وكلما استمر الانسان في التفكير والاعتماد على العقل كلما ابتعد عن الحس والوهم ويقترب من الحقيقة"، ولهذا فالمعرفة، عند "الغزالي" تقام على الحواس والعقل، غير أن العقل في رأيه هو مقياس كل حقيقة إنه يدرك الاشياء على حقيقتها، ومعنى هذا أن الغزالي يجمع بين المحسوسات والاستدلالات العقلية في المعرفة.⁽¹⁾

وفي نفس التوجه، ركز الفيلسوف إيمانويل كانط (1724-1804) في فلسفته على شروط المعرفة الإنسانية التي تتولد من التجربة الحسية و العقل، ويعتبر حسب الكثير من المنظرين والباحثين من أهم الشخصيات في تاريخ الفلسفة. كان ولا يزال تأثيره على فلسفة القرنين التاسع عشر والعشرين حاسمًا في مجالات الميتافيزيقا ، نظرية المعرفة ، الأخلاق ، الجماليات والفلسفة السياسية، ونقد العقل الخالص (1787) ، ويقول أن عملية المعرفة تبدأ من التجربة الحسية و الانطباعات التي تنقلها إلينا الحواس عن مختلف الاشياء والمواضيع، لكنه غير الأطروحة التجريبية بمفهومها الصارم من خلال إضافة البعد التي تفرض نشاط للعقل البشري الذي يقوم بعملية البناء والتنظيم ...، وكذلك العقل لا يستطيع بوسائله الخاصة ، أن يقدم جميع الضمانات التي يمكن للمرء أن يتأمل حقيقة الاشياء ، لكنه يحتاج بالتالي، إلى مساعدة شيء خارجي عنه وهذا باللجوء إلى الخبرة ، وإلى الملاحظة ...فهذه المثالية المتعالية للفيلسوف كانط، تؤكد على أن المعرفة مبنية على العقل والخبرة . ويقول كانط " في هذا الإطار "حدوس حسية بلا مفاهيم عقلية عمياء ومفاهيم عقلية بلا حدوس حسية جوفاء"

واهتم "بنقد العقل البشري" في مختلف جوانب نشاطه، والنقد عنده يدل على الدراسة التحليلية بقصد الكشف عن مقومات العقل البشري للوصول الى الأسس والمبادئ العامة التي يستند إليها العلم. وهذا سيساعد على الحد من ادعاءات العقل (من خلال الكشف عن الأوهام المتعالية): هذا هو الحل الذي يريد كانط تقديمه لأزمة الميتافيزيقيا. يجب أن يتعلم العقل أن بعض الأسئلة تفوق طاقته. ... كما قال انه يجب أن نتولى نقد العقل عن طريق العقل: هذا هو المعنى الحقيقي للعنوان الذي طرحه في القول التالي "نقد العقل الخالص". يشير مصطلح النقد اشتقاقياً إلى الكلمة اليونانية krinein ، والتي تعني الحكم على قضية (بالمعنى القانوني). لذلك سينظم العقل تجربة ادعاءاته "العقائدية" لمعرفة الأشياء الواقعة وراء التجربة ، لذلك فإن نقد العقل الخالص هو محكمة وظيفتها الحد من ادعاءات العقل. و تساءل "كانط" عن المعرفة وعن حدودها وشروطها، يعتبر دون أي شك أقوى المفكرين في الفلسفة الحديثة الذين حاولوا التوفيق بين

(1) - إدريس خضير : مرجع سبق ذكره، ص ص 285-286.

المذهبيين المتعارضين العقلي و التجريبي، فالمعرفة عند "كانط" واقعة معطاة موجودة ومتحققة في العلوم ولذلك، يصبح العمل الفلسفي الرئيسي عنده نقد العقل الخالص والنظري، أي تشریح المعرفة تشریحا منطقیاً بقصد اكتشاف الاسس التي تقوم علیها. يقول "كانط"⁽¹⁾ في هذا الصدد، أنه لا بد من الجمع بين التجربة والعقل لأن التجربة تتميز بالواقعية وهي واقعة لا يجوز الشك فيها، بينما تتميز أحكام العقل بالضرورة، وتبقى هذه التجربة عمياء وغامضة لذا تتدخل الشروط والمبادئ الضرورية التي تجعل من التجربة مادة معقولة، والعلم الحق يجب أن يكون ضرورياً وواقعياً معاً.

و في نفس السياق، يرى "كانط" أن هناك معرفة قبلية وبعديّة، أي قبل التجربة وبعدها، كما يقسم ملكة المعرفة إلى ملكة المحسوسات التي ندرك بواسطتها الموضوعات وملكة الفهم التي نعرف بواسطتها هذه الموضوعات، وملكة العقل ويحاول الذهن بواسطتها تكوين الأفكار، وهناك فرق في ما يسمى بإدراك الشيء وفهمه، لأن المرحلة الأولى هي المسؤولة عن تنظيم الانطباعات الحسية المتفرقة التي تقدمها التجربة على شكل مدركات حسية،⁽²⁾ أي أنها تقدم لنا الموضوعات، بينما الفهم هو الذي يحول تلك المدركات الحسية إلى معرفة وذلك بواسطة مقولات قبلية تنصب فيها معطيات التجربة الحسية، فتنحول إلى معرفة. وهنا نعني بالفهم أنها تقوم بتعقل تلك الموضوعات.

4. البرغماتية: Pragmatisme

ظهرت وتطورت الفلسفة البراغمتية، في الولايات المتحدة في نهاية القرن التاسع عشر، مع "شارل ساندرس بيرس" و"ويليام جيمس" و"جون ديوي".^(*) الذين أكدوا على أنه ليس للفكر معنى إلا من خلال آثاره الملموسة، والأفكار في نهاية الأمر ليست سوى أدوات مساعدة على التفكير. وكذلك الحقيقة، لا توجد ببداية وليست نظرية وفطرية، لكنها تكشف عن نفسها تدريجياً من خلال التجربة والممارسة.

تشير البراغمتية إلى أن النجاح العملي هو المعيار الوحيد للحقيقة. إنه شكل من أشكال التجريبية التي تقدر الفعل والكفاءة والخبرة والممارسة أو التطبيق وما يصلح بالفعل، بدلاً من العودة أو التفكير في الاعتبار المجردة أو النظرية الفارغة. لا يمكن اعتبار فكرة أو نظرية صحيحة إلا إذا كان بإمكانها العمل على الواقع. يقول رواد هذا المذهب، أن الحقيقة توجد في جملة التجربة الإنسانية لا في الفكر النظري

(1) - محمد الشبه: مرجع سبق ذكره، ص 49.

(2) - وليم كلي رايت: ترجمة، محمود سيد أحمد، مرجع سبق ذكره، ص 263.

(*) - أنظر في هذا الشأن: تشارلز موريس، ترجمة، إبراهيم مصطفى إبراهيم، رواد الفلسفة الأمريكية، مؤسسة شباب

الجامعة، 1996.

البعيد عن الواقع، وأن المعرفة آلة أو وظيفة في خدمة الفرد في الحياة اليومية ووصف لكل من يهدف إلى النجاح، أو إلى تحقيق منفعة خاصة وأن صدق قضية ما هو في كونها مفيدة للناس ولها صفة النفعية، وأن الفكر في طبيعته غائي. وكل القضايا الصحيحة أو الحقيقية لها آثار عملية، وكل القضايا التي لها آثارا عملية قضايا حقيقية وصحيحة. و"مبدأ البراغماتية" يقوم على المعنى الذي يؤدي إلى نتائج عملية أو تجربة، يقول الباحث والفيلسوف "شارل سندرس بيرس" أن "الحقيقة غاية، أي بحث" (1) والفكرة التي لا يمكن اختبارها عن طريق الفعل تخلو من كل دلالة ومغزى، (2) وهكذا، فإن المنهج البراغماتي "لا يهتم بمصدر الأفكار، ولا بكيفية ظهورها، وإنما يهتم بنتائجها العملية المؤثرة على السلوك والحياة".

وقد جاءت البرغماتية، لتعريف الحقيقة بأنها "التطابق مع الواقع" وهذا ما يجعل من الفكر مجرد نسخة من الواقع، ومن الحقيقة مجرد علاقة جامدة ساكنة، بينما الفكر مرتبط بالفعل، ولهذا ينبغي أن نعرف الحقيقة بواسطة نتائجها العملية: فالحق هو ما سينجح وهو المفيد وهو النافع، ففي ميدان التجربة النفسية والعقلية ما هو مفيد للفكر وما يزودنا بالشعور بالمعقولية وهو شعور بالراحة والسلام، (3) وبالتالي، "إن كل فكرة لا تنتهي إلى سلوك عملي في دنيا الواقع، هي فكرة خاطئة وليس لها معنى" إذن نفهم من هذا القول، بأن المعرفة وسيلة أو ذريعة لتحقيق أغراض عملية تفيدنا في حياتنا. و"الحقيقة" تتكون ببساطة مما هو مفيد لتفكيرنا.

يرى رواد هذا المذهب، أن معيار صدق الآراء والأفكار إنما هو في قيمة أدائها العملي، وأن المعرفة أداة لخدمة مطالب الحياة، وأن صدق قضية ما هو كونها مفيدة ولها منفعة، لهذا فإن الشعار الرئيسي للمذهب البراغماتي يتجسد في القول التالي: "المنفعة هي مقياس المعرفة الحقة". والصدق ليس شيئا جاهزا موجودا امامنا، أي في العالم الخارجي، بل على العكس من ذلك، شيء يحدثه الانسان، وهو توافق ناجح بين أغراضه وبين العالم، وعندما نتكلم عن الصحة لا نشير إلى شيء ما مستقل أو إلى جوهر موجود في أجسامنا يجعل قلوبنا تنبض بانتظام، ويجعل دمنا يسير في دورته، والصحة في الاخير ليست سوى كلمة تعني أداء اعضاء الجسم المتعددة لوظائفها العادية،...والحقائق تتغير باستمرار. (4) فلاسفة هذا المذهب، يعتبرون المعتقد الديني صادقا، إذا ترتبت عليه آثار ونتائج عملية في حياتنا اليومية، و يقبلون التفكير المنطقي بشرط أن ينتهي إلى سلوك عملي، وكذا نشاط الحواس بشرط أن يكون له وغايات عملية شريطة

(1)- عمار الطالبي، مدخل إلى عالم الفلسفة، مرجع سبق ذكره، ص 237.

(2)- وليم كلي رايت: ترجمة، محمود سيد أحمد، مرجع سبق ذكره، ص 486.

(3)- عبد الرحمان بدوي: مدخل جديد إلى الفلسفة، ط1، وكالات المطبوعات، الكويت، 1975، ص 143.

(4)- وليم كلي رايت، مرجع سبق ذكره، ص 489.

أن ترتبط بالمبدأ التالي، "المنفعة والقيمة والنجاح هي المعيار الوحيد للحقيقة"،⁽¹⁾ إذا تكمن حقيقة أو معنى فكرة أو اقتراح في نتائجها العملية التي يمكن ملاحظتها بدلاً من الأفكار والسمات والخصوصيات الميتافيزيقية. وكذلك مادام "كل شيء قابل للتغير" فإن الحقيقة أيضاً متغيرة، مما يعني أنه لا يمكن لأحد الادعاء بامتلاك الحقيقة المطلقة. يعتقد البراغماتيون أنه يجب الحكم على جميع المفاهيم والموضوعات الفلسفية والمعارف على أساس العمل والنتائج المتوصل إليها، وليس على أساس التجريدات.

وقد قامت هذه النظرية البراغماتية بنقد^(*) المذهب العقلي بوجه خاص، فإذا كان المذهب العقلي يأخذ على عاتقه البحث عن ماهيات الأشياء، فإن "البراغماتية" ترى أن هذه الماهيات العقلية لا وجود لها، بل الموجود هو الآثار السلوكية التي تحقق فيها الفكرة. وهي الحقيقة التي تكون بفضل الفعل والسلوك، وتنظر إلى الحقيقة أنها غير مطلقة، وتضع ثقتها في قدرة الإنسان على المساهمة الفاعلة في بناء المجتمع وتطويره، وحل المشكلات التي تواجهه، أو التخفيف من حدتها على الأقل.

لقد نشأت "البراغماتية" كمذهب عملي كما اشارنا على ذلك سابقا في الولايات المتحدة الأمريكية مع بداية القرن العشرين، لغرض تجاوز ثنائية النظرية والممارسة، والتركيز على جعل الافكار أكثر واقعية. وقد وجدت في النظام الرأسمالي الحر الذي يقوم على المنافسة الفردية مجالا واسعا للظهور والتطور ومن بين رواده: شارل س بيرس (1839 - 1914)، الذي كان أثره العلمي والمعرفي عميقاً على الفلاسفة الأمريكيين، وهو القائل أن البراغماتية تهدف إلى "توضيح أفكارنا" من خلال إحالتها إلى آثارها العملية.⁽¹⁾ وقد نشر بيرس مقال، بعنوان "كيف نجعل أفكارنا واضحة؟" قال فيه إننا لا نعرف على وجه التحديد ما هي الكهرباء في حد ذاتها، أي أن فكرتنا عن الكهرباء غامضة، ولكن هذا الغموض يزول إذا وجهنا نظرنا إلى ما تؤديه لنا

(1) - إ. م. بوشنسكي: ترجمة عزت قربي، مرجع سبق ذكره، ص 158.

(*) - لقد رفضت الفلسفة البراغماتية الفلسفات التقليدية المجردة التي ليست في خدمة الحياة، باعتبارها مذاهب مغلقة لأن الحلول فيها تبقى معلقة في فضاء العلل الأولى، والأسباب القبلية، فهي تشتق مفاهيمها لا من مثل العقل المجردة، أو انطباعات الحسية في الذهن، وتتبع عن الحقيقة المتصلة بالمنفعة والغاية والبعد العملي النافع. و"البراغماتية" تحمل على الفلسفة التجريبية، أنها تركز على الحواس الخارجية فقط وتنكر قضايا الدين والايمان والنزعة الانسانية والعملية، وتحمل على الفلسفة العقلانية أو المثالية تقديمها لحلول مغرقة في التجريد وغير مجدية للفرد والمجتمعات، وتتبع عن الإنسان وعن انشغالاته اليومية. لذلك حاولت تحقيق ما ينفعه بتأسيس منهج جديد أو فلسفة عملية ذات منهج عصري يسير حاجات الناس المتجددة، وتقلبات رغباتهم اليومية؛ وهو منهج يدعو إلى الانصراف من الفكر المجرد إلى الفكر العملي، بل يقول "وليام جيمس" يعتبر العقل عند "البراغماتية" أداة لفهم العالم وتغييره، وهذه البراغماتية ترى أن "الحقيقة توجد من خلال الواقع العملي والتجربة الإنسانية" كما أن أفكار الناس هي مجرد ذرائع يستعين بها الإنسان لحفظ بقاءه وقد أصبحت الذرائعية طابعاً مميزاً للسياسة الأمريكية وفلسفة الأعمال الأمريكية كذلك، لأنها تجعل الفائدة العملية معياراً للتقدم بغض النظر عن المحتوى الفكري أو الأخلاقي أو العقائدي. و في هذا الصدد يمكن نستحضر هنا "شعار السياسة الأمريكية" "ليس لدينا اصدقاء دائمون ولا اعداء دائمون بل مصالح دائمة".

(1) - Sylvain LAVELLE, Les philosophies du pragmatisme et la relation entre théorie, pratique et technique, 2007,

[HTTP://BASE.D-P-H.INFO/FR/FICHES/DPH/FICHE-DPH-7197.HTML](http://base.d-p-h.info/fr/fiches/dph/fiche-dph-7197.html)

الكهرباء أو إلى ما تحققه من أغراض عملية، كما أن دلالة دقة الجرس تشير إلى أن المحاضرة قد انتهت، فسمعنا له أو اثره الحسي قد نسي واتجه ذهننا فقط إلى ما ترتب عليه من آثار عملية، ومن هنا فقد عرف بيرس الفكرة " أنها " مجال الفعل".⁽¹⁾ وقال أيضا: " إن تصوّرنا لموضوع ما هو تصوّرنا لما قد ينتج عن هذا الموضوع من آثار عملية لا أكثر ". وفق هذا الطرح، فإن: " الحقيقة تقاس بمعيار العمل المنتج أي أن الفكرة خطة للعمل أو مشروع له وليست حقيقة في ذاته". وبعده جاء " وليم جيمس" (1842 – 1910 م) "كتاب البراغماتية 1907" وهو عالم نفسي وفيلسوف أمريكي من أصل سويدي بنى مذهب الذرائعية البرجماتية على أصول أفكار بيرس وأكد أن العمل والمنفعة هما مقياس صحة الفكرة ودليل صدقها، ذهب إن القول أن: " الحقيقة الموضوعية لا وجود لها ولا يمكن العثور عليها"، ويقول، تأمل أقدم الحقائق، فستجد أنها كما تسمى حقائق لأسباب إنسانية، أي لأنها كانت تشبع رغباتنا. والسبب في أننا نسمى الأشياء حقيقية هو " السبب في أنها حقيقية"، أي لأننا اعتبرناها كذلك حسب تحقيقها لما نريده من افعال...و" الافكار الحقة" هي الافكار المفيدة في الحياة، ولو كانت الافكار الزائفة أو الخاطئة هي المفيدة لكان علينا أن نتجنب الحق وألا نسعى في طلبه، والحقيقة عملية والافكار تصير حقيقة بتحقيقها لوظيفة مطلوبة في التجربة الانسانية، وما هو حق يمكن أن يتغير، بل هو يتغير فعلا كلما تغيرت حاجتنا وما يشبع رغباتنا وليس لنا أبدا أن نقيس الحق بأي مقياس آخر غير مقياس المنفعة في الحياة العملية.⁽²⁾ ويقول: " أسمي الفكرة صادقة، حين أبدأ بتحقيقها تحقيقا تجريبيا، فإذا ما انتهيت من التحقيق وتأكدت من سلامة الفكرة، سميتها نافعة" و" تصوّرنا لأي شيء ندركه بالحدس، ليس في الواقع إلا أداة نحقق بها غاية لأو منفعة ما ". وفق هذا الطرح، وحسب تقديرات وليم جيمس فإن البراغماتية توسع من معنى النتائج المترتبة على الفعل والسلوك، وتشمل النتائج والاثار المباشرة وغير المباشرة، ويؤكد أن العمل والمنفعة هما مقياس صحة الفكرة، ودليل صدقها، كما ذهب " وليم جيمس" إلى أن الحقيقة ليس إلا ما يقودنا إلى النجاح في الحياة. والمعتقدات الصحيحة هي وحدها التي تنتهي بنا إلى تحقيق أغراضنا الفعلية، وذلك لان الحق لا يوجد أبدا منفصلا عن الفعل أو السلوك، فنحن لا نفكر في الخلاء وإنما نفكر لنعيش ونتطور ونتج... وبالتالي فإن أفكارنا ومعتقداتنا ليس إلا وسائل لتحقيق أغراضنا في الحياة، فالعقل كله في خدمة الحياة والسلوك العملي.⁽³⁾

(1) - يحي هويدي، مرجع سبق ذكره، ص 157.

(2) - عبد الرحمان بدوي، مرجع سبق ذكره، ص 146.

(3) - يحي هويدي: مرجع سبق ذكره، 158 - 157.

وهكذا، فالحقائق ترتبط بمنافع كل فرد، ولا وجود لفكرة حقيقية في ذاتها لان الفكرة تصبح حقيقة عن طريق أثارها. يهاجم "وليم جيمس" الصور الذهنية والعقلية، ويقول مهما بلغت من درجة الوضوح فإنها لا يمكن أن تحقق نتائجها الوظيفية إلا بالتجربة العملية. فالنار العقلية لا يمكن أن توقد خشبا واقعيا، والماء العقلي عاجز عن أن يطفئ نارا حتى ولو كانت هذه النار عقلية، يعارض فيه وحدة الوجود، ويؤكد في كتبه الدينية، أن الاعتقاد الديني صحيح؛ لأنه ينظم حياة الناس، ويبعث فيهم قيم وسلوكيات الطاقة. كما يقول "وليم جيمس": "إن آية الحق النجاح، وآية الباطل الإخفاق" و"الفكرة الصادقة هي تلك التي تؤدي بنا إلى النجاح في الحياة.

إضافة إلى ذلك، نجد الفيلسوف الأمريكي، "جون ديوي" (1856 – 1952). وهو فيلسوف أمريكي، تأثر كثيرا بالفلسفة الذرائعية، يقول أن "كل شيء يتغير وانه لا يوجد ثبات أو سكون لا في ميدان المادة ولا في ميدان العقل والفكر نفسه ما هو إلا أداة من أجل العمل، ولا يبدأ الانسان في التفكير إلا حين يصطدم بصعوبات مادية يكون واجبا عليه التغلب عليها،"⁽¹⁾ وأن الحقيقة هي ما ثبت بمبرر وأنها هي ما يؤهلها لأن تكون معرفة، ويبدو أن النجاح في التطبيق العملي، هو المعيار الحقيقة وليس تعريفا لها. وهكذا، فإن قيمة الحقيقة تتعلق بالعمل لأن معرفة الحقيقة هي في الأساس لإنجاز عمل، وتحقيق هدف. يقول "ديوي" أن المعرفة كلها أداة للعمل، ومرتبطة بالوظيفة وهي تنو وتتغير وهذا بخلاف القدماء الذين ينظرون إلى الحقيقة نظرة سكونية،⁽²⁾ يقول "ديوي" "أن الانسان بدأ يفكر ابتغاء أن يعيش ويبقى في قيد الحياة، ويؤكد" إن التفكير يتبع الكفاح والفعل يتبع التفكير" ذلك أن الانسان لا يفكر إلا إذا كانت لديه مشكلة يحاول التغلب عليها. ولولم تكن عنده مشاكل لكانت حياته عارية من التفكير،⁽³⁾ والفكرة ليست مؤكدة من الاحساسات، وهكذا، فإن إن الرجل المتوحش قد يكون قادرا على تكوين صورة عن الاعمدة والاسلاك ولكن إذا لم يعرف شيئا عن التلغراف، فلن تكون لديه فكرة، أو على الأقل، فكرة صحيحة عن الأعمدة والأسلاك، ذلك أن الفكرة لا يمكن عقليا أن تتحدد بتكبيها (الصورة الذهنية أو العقلية)، وإنما تتحدد فقط بوظيفتها وفائدتها.

كما يرى أن حياة الانسان الذي لا يستطيع إيجاد وسائل أو ذرائع يحقق بها حاجاته ورغباته ويتكيف مع بيئته سيكون بالضرورة مصيره الموت، لذلك فإن الافكار ليست سوى هذه الوسائل أو الذرائع التي يستخدمها الانسان في حياته لتحقيق هذا التوافق، وينفي الاحكام العقلية فلا وجود لها في الواقع بل تنبع

(1) - إ.م . بوشنسكي: ترجمة عزت قرني، مرجع سبق ذكره، ص162.

(2) - عمار الطالبي: مرجع سبق ذكره، ص 238.

(3) - عبد الرحمان بدوي، مرجع سبق ذكره، ص 147.

من الواقع. وهي لا تصبح أحكاماً بمعنى الكلمة إلا إذا انتقلت إلى المرحلة العملية. وما أشبه الفيلسوف الذي يصدر أحكاماً واقعية من هذا القبيل بالقاضي الذي لا يصدر حكمه إلا بعد أن يكون قد اطلع على "معايينة النيابة" واستمع إلى أقوال الشهود، وعاش جو الجريمة التي يحكم فيها فيأتي حكمه الذي يصدره فيما بعد معبراً عن الوقائع التي يحكم فيها. وهكذا، فإن الرابطة في الأحكام تؤدي وظيفة واقعية من حيث أنها اسناد، نقوم فيها بإسناد محمول على موضوع في الواقع التجريبي وعن طريق فعل أو سلوك عملي.⁽¹⁾

لقد حاول الفيلسوف "البريطاني شيلر" (1864-1937)، إقامة مذهب انساني فلسفي يسمى البرغماتية لكن باسم آخر هو "النزعة الانسانية"⁽²⁾ وهو يأخذ لنفسه تعبير "بروتاغوراس المشهور" "الانسان مقياس كل شيء" ويذهب ويقول، "أن الانسان هو خالق كل الحقيقة"، وبالتالي السؤال ماهي الحقيقة؟ يصبح سؤالاً بغير معنى، إنما السؤال الذي ينبغي أن يسأل وأن يتكرر وضعه هو: ماذا نستطيع أن نفعل بها؟ يقول لا توجد حقيقة مطلقة، إنما كل حقيقة فهي إنسانية ولا يقود "شيلر" على الدقة أن كل قضية نافعة حقيقية، وإنما يقول إن القضية الحقيقية لا بد ان تكون نافعة، وأن كل قضية تمثل قيمة. وبالتالي فالحقيقة لها صفة ديناميكية وحركية مستمرة.

5. المذهب المثالي: IDÉALISME

يقوم هذا المذهب على إرجاع كل وجود إلى "الفكر"، وتتجلى مبادئ ومرتكزات هذا المذهب في شعاره الجوهرى التالي، "أن وجود الأشياء ليست سوى شيئاً آخر إلا أفكارنا نحن عليها"، وهكذا فالمثالية ترى أن الروح أو الفكر له أولوية في العملية المعرفية وأن المادة ثانوية. وهذه الفلسفة تنكر وجود العالم الخارجى، وتختزله في عالم التمثيلات الذاتية الفكرية. بمعنى آخر، أن العالم لا وجود له بدون شخص يفكر فيه. تؤكد المثالية على أسبقية الوعي كأصل وشرط مسبق للظواهر، كما تجعل الوعي أو الروح "أصل" العالم المادى - بمعنى أنه شرط ضرورى لوضعنا في عالم مادى - وتهدف إلى شرح العالم الحالى وفقاً لهذه المبادئ. هي فلسفة تقول أنه لا يوجد واقع في حد ذاته مستقل عن الذات التي تمثلها.

يرجع رواد المذهب المثالى طبيعة المعرفة إلى القوى المدركة، فالموجودات ليست سوى صور عقلية ومعاني مجردة قام العقل بتشكيلها والظواهر العقلية هي الظواهر الوحيدة التي يمكن أن تكون على يقين من وجودها وهذا ما قاله الفيلسوف "افلاطون": أن صور المدركات الخارجية ماهي إلا ظلال العالم المثالى.

(1) - يحي هويدي، مرجع سبق ذكره، 160.

(2) - إ. م. بوشنسكي: مرجع سبق ذكره، ص 161.

(1) يعتبر في هذا الاطار، الفيلسوف ديكارت (1596 1650) أن روح الإنسان هي طبيعته الحقيقية وليس فقط جسده.

وفق هذا الطرح، فإن هذه الفلسفة هي فلسفة متعالية تخضع فيها التجارب الحسية للمبادئ الجوهرية والحقائق المطلقة (2) لذلك، لا يمكن للعالم المحسوس أن يصف الأشكال غير الكاملة والمتغيرة، فقط الأفكار والتفكير المنطقي من يسمح بالوصول إلى الحقيقة. وبالتالي، فالمثالية الأفلاطونية، تتشكل من الأفكار الأولية والحقيقية، في حين أن الجوانب الواقعية تشمل الإدراك العابر والزائل. وهذا يؤكد أن عالم الأفكار العالم المعقول (وهو عالم المفاهيم، يحكمه العقل، الحق، الجميل، الجمال المطلق، العادل...) وهو عالم الحقائق الدائمة والكمال. له قيمة وأهمية وألوية على العالم المحسوس والمرئي، الذي تدركه الحواس. وهذا العالم المثالي يشكل مصدر مهم للتمييز بين الخطأ والوهم.

يتفق أغلب الفلاسفة أن أصل المثالية تعود إلى الفيلسوف "أفلاطون"، وأن هناك على الدوام معطى مثالي والمفارق للأشياء الواقعية. وأن الطبيعة الحقبة للشيء لا توجد في الظواهر الواقعية والمباشرة التي تقدمها الحواس، بل توجد في المثل العليا، تؤكد المثالية الأفلاطونية أن التجريدات أكثر جوهرية للواقع من الأشياء التي ندركها وهو يعتقد بوجود عالين: العالم الحقيقي الذي توجد فيه الافكار الحقيقية المستقلة والثابتة، والعالم الواقعي الذي هو ظل للعالم الحقيقي وهو متغير باستمرار.

ويتفق "المثاليون" في تصورهم لطبيعة المعرفة، كونها تعتمد في وجودها على العقل أو الذهن، وتسعى بذلك لاختراق وتفكيك ودراسة طبيعة وخصوصيات الموجودات و الأحداث، والأشياء والبحث في المواد والعناصر والأسباب التي تكون الظواهر والحقائق بطريقة مختلفة عن المذاهب الاخرى، ولذلك، فإن الحقيقة النهائية، تكون في نظرهم ذات طبيعة عقلية أو ذهنية، والعقل بذلك سيختلف اختلافا جذريا عن المادة ولا يمكن تفسير العقل بالمادة وإرجاعه إليها، وفعل المعرفة ليس مجرد استقبال سلبي للانطباعات (3) لأن المثالية تصور لنا عالما مفهوما ومعقولا، و يكون الكون مرتبطا ارتباطا وثيقا بالذات العارفة، (4) فلن يكون ذلك بالبحث في العلوم الطبيعية بما فيها من اهتمام بالمادة والحركة والقوة، وإنما يكون بالاتجاه نحو الفكر والعقل، والالتزام بالقوى المثالية والقيم الروحية لدى الانسان.

(1) - إدريس لحضير : مرجع سبق ذكره، ص 285.

(2) - عبد الله شمت المجيدل، مرجع سبق ذكره، ص 206.

(3) - إ.م . بوشنسكي: مرجع سبق ذكره، ص 138.

(4) - منتير ميد: ترجمة فؤاد زكريا، الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ص 80.

أ. المثالية الذاتية:

وهي المثالية التي تقيم طبيعة العالم على أسس وقواعد تستمد شرعيتها من الاختلافات في الوعي الفردي، وهو ما يؤكد أن تمثيلاتنا الذاتية فقط هي الموجودة: كل شيء سيكون فقط عقلياً. وجاءت هذه المثالية على يد الفيلسوف "جورج باركلي" (1685-1753)، الذي يلخص نظريته المميزة للمعرفة في عبارته المشهورة: (أن يوجد هو: يعني أن يُدرك أو أن يُدرك) "être c'est être perçu". إذ يرى أن وجود الشيء هو إدراكه، فالحقيقة ليست هي الشيء، بل في جوهر الفكرة المتصورة في الإدراك نفسه. وأن الشيء ليس له وجود مادي مستقل عن إدراكنا له، وأنكر وجود العالم المادي المستقل عن الإدراك. فالأفكار تساعد في تحديد لواقع الذي لا وجود له أصلاً بدونها، مما يؤدي إلى إنكار المادة والشك في طبيعة الواقع التجريبي. وأشار إلى "أن الجوهر المادي ليس مجرد وهم وباطل لأن هذه الصفات كلها لا وجود لها إلا في عقلي أنا، لأنها ليست في نهاية المطاف إلا أفكارية أنا وتصوري الذاتي عنه، فعلياً أن نتخلص منه ونلغى وجوده ومن أجل هذا سمي بالفيلسوف "باركلي" مذهبه باللامادية، أي المذهب الذي يلغى وجود المادة أو الجوهر المادي ويلغى صفاته المادية، لأنها قائمة خارج عقولنا مستقلة عنها.⁽¹⁾

فهو بذلك، يعتقد أن الحقيقة النهائية ذات طبيعة نفسية أو روحية، وأن الكون تجسيد الذهن أو الروح، "فالمثالية" الذاتية، بهذا الطرح ترى إذا أردنا أن نعرف طبيعة الواقع يجب أن نتوجه إلى الفكر والعقل وإلى كل الأفكار والقيم الروحية لدى الجنس البشري، ذلك أن كل إدراك أو معرفة يقتضى ذاتا عارفة، والذات العارفة هي مصدر كل معنى وقيمة، والعلم يتجاهل هذه الحقيقة وكذلك المذهب الطبيعي،⁽²⁾ ولا تعترف المثالية بمذهبيها القديم والحديث بوجود مستقل للأشياء عن الفكر؛ لأن ما هو خارج الفكر لا يمكن أن يكون مستقلاً، ومن ثم لا يكون موجوداً، وعليه فكل تفسير وكل قضية إنما تفترض وجود الفكر. وهو المنطلق الأساسي لمعرفة الحقيقة أو الوجود.

إذا كان بعض الفلاسفة يدعون لقيام جوهر مادي خارج عقولنا وتصورا خاصا لمعرفة جوهر الأشياء والذي يفرض العودة على الصفات الطبيعية المختلفة من امتداد وشكل ولون ورائحة... وغير ذلك من الصفات التي يصف بها الشيء المادي، فإن الفيلسوف "باركلي" ذهب للقول إلى أن هذه الصفات كلها لا وجود لها إلا في عقلي أنا" لأنها ليست في نهاية الأمر إلا أفكارية أنا عن الشيء المادي أو بصوري الذاتية، هذا الجوهر المادي وهم وباطل فعلياً أن نتخلص منه ونلغى وجوده، لأنه قائم خارج العقول،⁽³⁾ ويقدم لنا

(1) -محمد محمد الحاج حسن الكمالي: مرجع سبق ذكره، ص 157.

(2) -هنتر ميد، مرجع سبق ذكره، ص 58-59.

(3) -يحي هويدي: مرجع سبق ذكره، ص 227.

مثلا لفهم هذا التوجه، "سئل البستاني" لما يعتقد بوجود شجرة الكريز في الحديقة، سيخبرك بشكل مباشر بأنه يعتقد بوجودها فقط لأنه يراها، ويلمسها، لكن بطرح آخر وبكلمة واحدة يقول ذلك "لأنه يدركها"، وهكذا، فإن الوجود هو الإدراك، فقد ألغى الوجود وأستبدله بالوجود المحسوس أي ما يظهر لنا من الأشياء من خلال إدراكنا وحواسنا، وكل شيء "نعرفه عن موضوع" حسب "باركلي" نتعلمه عبر "إدراكنا الحسية"، لذلك فلموضوع الحقيقي يرتبط بإدراكنا وتفكيرنا، فإذا طلب مني وصف تفاحة، فكل ما أفكر به هو إدراج رائحته، طعمه، لونه، ملمسها وغير ذلك،...

وبالتالي، الفتحاحة لا شيء فوق أو وراء مجموعة من الخواص المحسوسة المدركة.⁽³⁾ وطالما أن هذه الخواص كما يقر كل شخص هي بالضرورة ذاتية – أي توجد في عقل الذات المدركة فقط. ويقول، أن وجودها يتوقف على إدراكها وبالتالي يمكن أن توجد فقط في الفكر. عندما نقول شجرة، فإنه لدينا إدراك حسي، والشجرة ليست سوى مجموعة من الاحساسات، والاحساس ذاتي، إذا الواقع ذهني والعالم سيكون ذهني، فليس ثمة وجود شيء بمعزل عن الفكر والذهن.

ب. المثالية النقدية.

ارتبطت تسميتها في العصر الحديث بالفيلسوف «كانط»، وهي ترى أن هناك ضرورة البدء بفحص العقل، ومعرفة حدوده، ومعرفة قدراته قبل الوثوق به والاعتماد عليه واستخدامه في تحصيل المعرفة، والعودة إلى النقد، أي نقد العقل المجرد وتفنييد التذليل العقلي الخالص الذي لا يستند إلى الوجود الحسي والخبرة الحسية، ويرى "كانط"، أن (التصورات العقلية تكون فارغة إذا لم ترتبط بالإدراكات الحسية، وأن الإدراكات الحسية تكون عمياء إذا لم تعتمد على التصورات العقلية). واتسمت مثالية "كانط" بالنقدية الجوهرية، لأنها تركز على وضع الحدود التي يجب أن يتعددها العقل،⁽¹⁾ وقد أثبت أن الذات العارفة بجانب ادراكها الحسي توجد فيها ملكة أخرى هي ملكة الذهن، وهي خاصة للإدراك العقلي لأن الشيء يدرك حسيًا ثم يشكل تشكيلا عقليا عن طريق المعقولات، وعلى هذا، فإن العالم أصبح كله بواسطة الإدراك الحسي والذهني مرتبطا بالذات العاقلة معتمدا عليها.⁽²⁾ وإذا كانت عملية الإدراك لا تتم إلا بالترابط بين الصور العقلية والمدركات الحسية، فمعنى هذا أننا لا نستطيع أن نعرف إلا ظواهر الأشياء، أما الأشياء ذاتها فلا سبيل لنا لمعرفةا، لأن الحواس لا تقدم لنا إلا ما يظهر من الأشياء، والعقل لا يستطيع أن ينفذ من وراء الظواهر ليكشف الواقع الحقيقي.

(1) - كريس هوريز ، إمريس ويستاكوت ، ترجمة ليلي ، مرجع سبق ذكره، ص 81.

(2) - حسين على : مرجع سبق ذكره، ص 148.

(3) - محمد محمد الحاج حسن الكمالي: مرجع سبق ذكره، ص 159.

ت - المثالية الموضوعية المطلقة :

وهي المثالية التي تجعل من الروح غير شخصية والعقل السامي أساس الواقع ،⁽¹⁾ ، لأن هيجل يعتبر أن كل ما هو موجود ناتج عن تطور الروح ، (الفكرة المطلقة). وهذا النوع يرتبط حسب المختصين بالفيلسوف "هيجل" ، الذي أكد أن استخدامنا لنظام المنطق بصورة دقيقة هو الذي سيوصلنا إلى الفكرة المطلقة. وإذا أردنا تعريف المثالية المطلقة، نقول أنه الاتجاه الفلسفي المثالي الذي يذهب إلى تأكيد "أولوية الروح على المادة" ويرى، أن المصدر الأول للوجود ليس هو العقل الإنساني الشخصي والذاتي ، وإنما هو العقل الكلي أو الروح المطلقة. ومن راودها "أفلاطون" "ليبنتز" و"هيجل". فنقطة الانطلاق لهؤلاء الفلاسفة كانت من خلال الرد المضاد على أفكار المثالية الذاتية. وقد بذلك حاولوا التوسط بين الذين اثبتوا وجود الطبيعة المستقلة عن الذات وبين المثالية الذي قيدوا الطبيعة بالذات، وحاولوا أن يعطوا للعالم أو الطبيعة نوع من الاستقلال عن الذات.⁽²⁾ يمكن أن نضيف إلى ما تناولنها "الهوية المطلقة" للفيلسوف لشييلنج، الأفكار أو الصور الذهنية في العقل، ستكون متطابقة مع الأشياء الممتدة التي هي خارج العقل. يقوم هذا المذهب على التماثل بين الواقع والفكر، (فكل ما هو واقعي عقلي، وكل ما هو عقلي واقعي)، ويرى رواد هذا النوع من المثالية بأنّ العقل عبر تطوره الخاص به ما هو إلا تعبير عن تطوّر الواقع. فالمثالية عند "هيجل" هي تعقيل الواقع، وهو يوكل للفلسفة مهمة القيام بهذا الوصل بين العقل والواقع،... والغاية العليا من هذا التوافق هي الوصل إلى ضرب من التوفيق بين العقل الواعي لذاته و العقل الموجود في العالم-الواقع الفعلي.⁽³⁾

وهكذا يتفق الفيلسوف "هيجل" مع المثاليين جميعاً في نظرهم إلى طبيعة المعرفة باعتبارها في النهاية معرفة عقلية أو روحية، وفي نظرهم إلى الواقع باعتباره في النهاية تجسيدا للعقل أو الروح .ومن ثم فلا سبيل لفهمه إلا من خلال العقل، وهو المصدر الوحيد للوجود والمعرفة معاً. فالكون على سبيل المثال، يدل على جملة الصفات المنطقية المعقولة التي يتحلّى بها كل واقع حقيقي، والطبيعة هي تجلي الواقع في الكائنات العضوية، والروح هي الاتجاه الباطني لنشاط هذا الواقع. إن جوهر الحقيقة روحي، والروح لا تستطيع أن تدرك نفسها إلا في علاقتها بعنصر مادي موضوعي، وهذا هو علة وجود المادة أو كما قال "هيجل": "المادة مظهر تبدّي به الروح". ويقر "هيجل" بالهوية بين الفكر والوجود، وعنده أن ما هو موجود فإنه لا يوجد إلا بوصفه فكراً؛ ولهذا فإن المنطق الذي هو علم الفكر هو في الوقت نفسه علم الوجود.

(1) - عبد الرزاق بلعقروز: مرجع سبق ذكره، ص 93.

(2) - محمد محمد الحاج حسن الكمالي: مرجع سبق ذكره، ص 159.

(3) - عبد الرزاق بلعقروز: مرجع سبق ذكره، ص 100-101.

6. المذهب الواقعي : Réalisme

إذا كان "المثاليون" يؤمنون بوجود حقيقية تعتمد في وجودها على العقل أو الذهن. و تكون في نظرهم ذات طبيعة عقلية أو ذهنية. فإن " الواقعيون" يعترفون بوجود عالم خارجي مستقل عن أي عقل يدركه، وعن جميع أفكار ذلك العقل، أي الوجود الواقعي الخارجي المقابل للموجود الذهني. والواقعية تقوم على الاقتناع بأن الواقع موجود خارج الفكر ومستقل عنه. أي بتعبير آخر، أي أن وجود مضمون وحقيقة العالم ، مستقل عن الفكر والتجربة الإنسانية.

تقوم مبادئ هذا المذهب على فكرة بأنه توجد الأشياء في العالم الواقعي مستقلة عن الإدراك، فما نراه أو نسمعه أو نلمسه أو نتذوقه أو نشمه ليس مجرد انطباعات بل هي الأشياء ذاتها. وهذا ما يؤكد وجود واقع خارجي والمستقل عن أذهاننا. أي بمفهوم آخر، التعبير عن وجود وإستقلالية العالم عن الذات وعن مختلف التمثلات . وهذا ضمنيا يقود لطرح الفكرة القائلة ، أن الأشياء الحقيقية تكون خارجة عن الذات ومستقلة عنها.

نقول "الواقع الحاصل"، و الواقعة ما حدث وما وجد بالفعل"، وهي مرادف للحادث، فنقول (حادثة) والواقعي هو المنسوب إلى الواقع ويرادفه الوجودي والحقيقي والفعلي، ويقابله الخيالي والوهمي ، تقول الرجل الواقعي، أي الرجل الذي يرى الأشياء كما هي في الواقع، ويتخذ إزاءها ما يناسبها من التدابير دون التأثير بالأوهام أو الأحلام أو القيل والقال.⁽¹⁾ تقوم فكرة المذهب الواقعي في الفلسفة، على أن مصدر كل الحقائق هو هذا العالم الذي نعيش فيه (عالم الواقع)، أي عالم التجربة والخبرة اليومية، أن هناك عالم له وجود لم يصنعه أو يخلقه الإنسان، ولم يسبقه وجود وأفكار مسبقة.

و هذه التعارف التي وردت ضمنا في تاريخ الفكر، مختلفة تبعا لاختلاف المذاهب الفلسفية، فذهب البعض منهم إلى أن معرفة الأشياء نسخة طبق الأصل لحقائق الأشياء وصورة دقيقة في عقولنا لما في التاريخ، وأن الأشياء في الحقيقة والواقع مطابقة لمظاهرها التي ندركها بواسطة القوى المدركة، وأن العالم الخارجي في الحقيقة كما ندركه، وهو مستقل في الوجود عن إدراكنا، وأن مظاهر الأشياء وحقائقها متطابقة، وإدراكنا للأشياء كما هي في الواقع هو المصدر الجوهرى لمجالات المعرفة، والأشياء المحققة لها وجود في الخارج مستقل عما يماثلها في الذهن، يسمى هذا المذهب "بالمذهب الواقعي الذي يرى أن ما ندركه بالحواس سواء كان إدراكا يقينيا أو ظنيا، وما نعرفه بالتأمل بالفكر، بهما تحصل المعرفة بالأشياء، والمعرفة تكون نتيجة لشيء حقيقي موجود في الخارج مستقل عن ذهننا، وهنا إشارة إلى إدراك الشيء كما هو في الواقع،

(1) - محمد شطوطي: مرجع سبق ذكرهن ص 80.

فالشيء أحمر وأسود لأن به صفة جعلته أسود أو أحمر ، يقابل هذا المذهب ، المذهب المثالي وهو يرى أن "إدراك الأشياء" و"الأشياء في أنفسها" وبعبارة أخرى "ما يوجد في الفكر " وما هو موجود في الخارج مختلف تماما عن الإدراك الحقيقي والفعلي، والمعرفة تكون عكس الصورة الحقيقية للأشياء، بل إدراك الأشياء حسب ما يظهر لنا، وليس العالم الذي حولنا إلا نتيجة أنتجها عقلنا.⁽¹⁾

يرى المذهب الواقعي، أن ماهية المعرفة، "ليست من جنس الفكر أو الذات العارفة، بل هي من جنس الوجود والواقع الخارجي"، بشكل مستقل عن العقل ، تتأسس على أن الأشياء الخارجية لها وجود عيني مستقل عن العقل الذي يقوم بإدراكها، وعن جميع أفكار ذلك العقل وأحواله، ومعرفة العقل مطابقة لحقائق الأشياء المدركة، فليس العالم الخارجي كما هو مدرك في عقولنا إلا صورة لهذا العالم كما هو موجود في الواقع، أي أن المعرفة هي إدراك الأشياء كما هي في الواقع بوسطة الإدراك. وحقائق الأشياء وصفاتها موجودة ومحقة سواء انعكست على صفحات أذهاننا أم لم تنعكس، وبالتالي ستكون المعرفة هي انعكاس العالم الخارجي على العقل⁽²⁾ و نسخة طبق الأصل في عقولنا لما هو موجود في الواقع الخارجي" والثابت حسب هذا المذهب، أن العالم الخارجي له وجوده الخاص المستقل عن الذات التي تدركه، و حقيقة ما ندركه ووجوده مستقل عن إدراكنا. كما أن عالم الواقع مستقر ثابت ويشتمل على جميع الحقائق، ونستطيع عن طريق التجريب العلمي الوصول إليها، واكتشافها. وليس الأمور المدركة في التجربة سوى رموز في العقل، ولكنها رموز تدل على حقائق خارجية واقعية، وينقسم الواقعيون إلى طائفتين، فمنهم من أقر بوجود "الواقعي الساذج" الذي يقول أن الأشياء هي في حقيقتها كما ندركها بالحس، ومنهم أصحاب المذهب "الواقعي النقدي" الذين يقولون إن حقائق الأشياء هي التي ندركها بالحس ثم نمحصها ونعالجها في ضوء ما نعلم من قوانين العلوم الطبيعية،⁽³⁾

والمؤكد أن الفلاسفة الواقعيون جعلوا من الذات العارفة انعكاساً للشيء المعروف في الخارج، وهكذا، فإن مصدر المعرفة يقتصر على الشيء الخارجي الواقعي وستكون مماثلة للواقع وليس الفكر. والواقع يقوم بإحداث تجمعات وتشكيلات وترابطات واقعية يجدها الشعور والعقل جاهزة أمامه.⁽⁴⁾ وهكذا فإن، المذهب الواقعي لم يعر اهتماما إلى العلاقة بين "الذات العارفة والشيء الخارجي المعروف". كما أن "الواقعيون" متفقون على إنكار المفاهيم المجردة والاختصار على الإدراك الحسي المطابق للواقع ومعرفتنا لا

(1) - أ.س. رابوبرت، ترجمة أحمد أمين، مبادئ الفلسفة منشورات هنداي، القاهرة، 2013، ص 122 - 123

(2) - عبد الرزاق بلعقروز: مرجع سبق ذكره، ص 102 - 103.

(3) - أرفلد كوليه، ترجمة أبو العلا عفيفي، ص 289.

(4) - يحي هويدي: مرجع سبق ذكره، ص 255.

يمكنها أن تخرج عما تزودنا به موضوعات العالم الخارجي.⁽¹⁾ وإذ كانت المثالية تهتم بالفكر والإنسان . فإن الواقعية ترى أن الطبيعة البشرية جزء من الطبيعة والواقع ومن ثم، فإن الإنسان "إنما هو محكوم بمبادئ الطبيعة أو الكون أو قوانين العالم".

أ . الواقعية الساذجة:

تركز على الفهم التلقائي والمادي للعالم ، والاعتناع بأن كل الأشياء موجودة ومستقلة عن الوعي،⁽²⁾ وهي تتفق مع ما يراه عامة الناس، وتشكل بذلك، الموقف التلقائي والانطباعي للإنسان، الذي يتوهم بأن الأشياء كما تبدو له هي نفسها وفقا لذلك الإدراك، ويعتقد رواد هذا النوع من الواقعية الساذجة، بأنها موجودة كما ندرکہا، "إنها واقعية العامة أو واقعية "رجل الشارع"⁽³⁾ مثلا إذا شاهدت كرة وقلت أنها كروية الشكل وبيضاء اللون، فهذا يعني أن هناك، شكلا كرويا ولونا أبيض لا دخل للذات و المدركات العقلية في حدوثهما. أين أصبح لدينا تقبل أو انفعال للأشياء الخارجية كما هي في الواقع ، تعتبر في النهاية كنسخ ذهنية. وفي هذا السياق، يرى "هيجل" أن التسليم بالوعي المباشر هو الحقيقة ، يستلزم أن جميع الأوهام والخرفات سوف تصبح حقائق"، فالهندوسي على سبيل المثال، يجد الله في البقرة، والسبب أن الفرد يؤمن بهذه المعرفة ببداهة ويدركها إدراكا مباشرا، دون أن يناقش وجودها وبدون تصرف وفي غياب طريق الاستدلال والقياس .،

والفرد يثق ثقة عمياء في المعرفة التي تأتي له عن طريق الحواس، والواقع عنده ما تقدمه له الحواس، ولذلك يفترض افتراضا بوجود العالم الخارجي في صورته المحسوسة، ويسلم به مقدما دون أن يناقشه ولهذا شاع تشبيه معرفة رجل الشارع أو المعرفة في الواقعية الساذجة "بألة التصوير" التي تنقل لنا نقلا أميناً الحقائق الخارجية دون ان تناقش وجود الأشياء أو تتصرف في الصورة التي تلتقطها منها. وبالتالي، فإن الإدراك في "الواقعية الساذجة" يتميز بأنه إدراك فوتوغرافي وألية التفكير والإدراك المباشرة، ومعنى ذلك، أنه إدراك منسوخ من الواقع ومن الحقائق الخارجية.⁽⁴⁾ وهذا النوع الساذج من الواقعية لا تخضع للتفكير النقدي وتثق في مدركات الحس وحقيقة المدركات الخارجية... وهي في الأصل تنطلق من مسلمة مفادها أن أفكارنا صور مطابقة للأشياء في الخارج. ويعتقد رواد هذا التوجه أن أفكارنا صورة مكانية للأشياء في

(1) - إدريس لخصير : مرجع سبق ذكره، ص 283.

(2) - محمد شطوطي: مرجع سبق ذكره، ص 83.

(3) - عبد الرزاق بلعقروك مرجع سبق ذكره، ص 103 - 104.

(4) - يحي هويدي: مرجع سبق ذكره، ص ص 243-244.

الخارج، والذهن أشبه بالكاميرا التي تصور العالم الخارجي كما هو،⁽²⁾ وهكذا، تصبح المعرفة مجرد نقل لما يجري في العالم من وقائع وأحداث.

ب . الواقعية النقدية التقليدية:

تعتمد هذه المعرفة على العلوم الطبيعية بعد اخضاعه للنقد العلمي ، وخلاصة هذا المذهب أن الحس يدرك حقائق الأشياء، وهذه الحقائق تمحص في ضوء قوانين العلوم الطبيعية، ومن بين روادها الأمريكي (سنتانا) و"روجرز"، و"لونجس" و"برات" و"سيلرز". فالمادة في نظر هذه العلوم شيء حقيقي له وجود عيني خارجي ولكن الكيفيات التي تدركها الحواس ليست إلا من عمل الذهن، وتتميز "الواقعية النقدية" من "السادجة" برفضها التسليم بالوجود الحقيقي لعالم المدركات الحسية بغير اختبار نقدي لأنها تحاول أن تثبت الحقيقة بمناقشة الحجج المضادة ودحضها حتى يتسق منطق الواقعية مع النتائج التي ينتهي إليها نقد المعرفة⁽³⁾ فإدراكي للون الأصفر في البرتقالة مثلا، يعنى أن في البرتقالة لها خاصية تثير العين تحت ضوء ملائم فتجعل العين تحس باللون الأصفر، فلا معنى للون الاصفر إذن بدون وجود العين التي تراها وتفحصها، وهكذا، فالمعرفة عند الواقعية النقدية ليست إدراك صورة مطابقة للأشياء الخارجية ، بل إذاك صورة معدلة بفعل العقل الذي يمكن له أيضا أن يتجاوز الجزئيات والمحسوسات إلى الكليات ومن خلال اختبار نقدي يتسق فيه منطق الواقعية مع النتائج التي ينتهي إليها نقد المعرفة، وبالتالي لا تثق بالمعطيات الحسية المباشرة كما اشارت على ذلك الواقعية السادجة.

ج . الواقعية الجديدة:

ظهر هذا الاتجاه الجديد على يد ، "سبولدج" ، "بيكن" ، و"مانتجوا" ، و"هولت" ، و"بري" ، و"مارفن" ، فقد كان مجال فلسفتهم نظرية المعرفة الجديدة التي تشير إلى محاولة فهم العلاقة التي تقوم بين الذات العارفة وموضوع معرفتها من غير تمييز بين العارف والمعروف، ورفضت التسليم بما رأته الواقعية النقدية التقليدية من وجود وسيط بين الشيء المدرك والذات العارفة - هو الصورة الذهنية في مذهب لوك - لأن الإدراك في نظر "الواقعية الجديدة" يقع مباشرة وبغير وسيط، مما يجعل معرفتنا للشيء الخارجي صورة مطابقة لحقيقته في الخارج .. كما أن معرفة الإنسان للواقع لا تقتصر على مجرد تمثله للجوانب النفسية المحسوسة وحدها، بل تتعدى ذلك إلى إمكانية إدراكه للواقع الذاتي المتحول إدراكا فوريا بطريقة مباشرة.⁽¹⁾

(1) - حسين على : مرجع سبق ذكرهن ص 152.

(2) - محمد محمد الحاج حسن الكمالي: مرجع سبق ذكره، ص 165.

(3) - المرجع نفسه، ، ص 165.

ومن السمات الأخرى للفلسفة الجديدة اهتمامها الشديد بالعلم كالرياضيات، والفيزياء الحديثة، لأن المعرفة الإنسانية كلها تعتبر وليدة التجربة وأن التجربة لا يكمن أن تخرج عن قالبها الحسي. فمعظم دراسات هؤلاء الفلاسفة، كانت حول مسائل المنطق ونظرية المعرفة والفيزياء، مع التركيز والاهتمام بالعلم ومعرفة الأجزاء أكثر من الكل، والحرص على القيام بأعمال تفصيلية دقيقة أكثر مما تهتم بالأراء العامة والشاملة.

7. المذهب الوجودي: L'existentialisme

لقد أشارنا من قبل أن الفلسفة نشاط معرفي يبحث عن ماهية كل الموجودات والكائنات والأشياء...و تعتمد أساساً على التأمل والتفكير والنقد...، وأشارنا إلى اختلاف الفلاسفة في تحديد طبيعة وخصيصيات واصل الموجودات والمعارف وهذا، أدى لظهور وبروز الكثير من الحركات الفكرية والمذاهب الفلسفية المختلفة، ومنها "فلسفة الوجود" أو الفلسفة "الوجودية" التي تهتم بالزعة الانسانية، فهي ليست فلسفة الطبيعة والكون والمادة، ولكنها ببساطة "فلسفة الإنسان" التي ترى أن "الوجود تسبق الماهية"، *l'existence précède l'essence* وهذا بتغيير العلاقة القديمة بين الوجود والماهية، واعتبار الوجود بدل ذلك وسيلة لتحقيق الماهية، فالوجود بهذا الطرح، هو ذلك الاستعداد الواقعي الذي أملكه لكي أهب نفسي ماهية بواسطة فعل، بإمكانني أن أنفذه،⁽¹⁾ وهذا عكس الفلسفات السابقة التي تؤمن بأسبوعية الماهية، بمعنى أن الانسان يوجد أولاً ثم يعرف نفسه، ويحتك بالعالم الخارجي، فتكون له صفاته، ويختار لنفسه أشياء وصفات وحالات. فهو وفق هذا الطرح، فالإنسان يولد بلا هدف ودون قيم ويستمر في التغيير والتطور من خلال أفعاله ويفرض وجوده ومسؤوليته حتى وفاته.

تقوم هذه الوجودية بالتركيز على مفهوم جوهرى يقول " أن الإنسان كفرد يقوم بتكوين جوهر ومعنى لحياته"، أي النظر، إلى الإنسان على أنه إنتاج ذاتي حر وهو سيد أفعاله ومصيره وهو الذي يختار القيم التي سترشده في وجوده. ووجهة نظر كهذه، كان لها تأثير كبير على المدارس الفكرية والفلاسفة مثل "جان بول سارتر"، "مارتن هيدجر"، "كارل كاسبيرز"، "ألبيير كامو"، "جيريل مارسيل" وغيرهم. وقد جعلت من وجود الإنسان في قلب تفكيرها. بحيث ترى أنه من الضروري إعطاء الأولوية للعيش والحياة الفردية، ولحرية الإنسان ودعوته ليقرر بنفسه وجوده. أي أن الإنسان ليس إلا ما يصنعه بنفسه. هذا هو المبدأ الأول للفلسفة الوجودية.⁽²⁾

(1) — محمد بماوي: مرجع سبق ذكره، ص 81.

(2) — للمزيد من المعلومات، انظر: جون ماكوري، ترجمة امام عبد الفتاح امام، الوجودية، عالم المعرفة، أكتوبر 1982.

برزت هذه الوجودية مع الحروب وهيمنة الكنيسة والدين(*) على الفرد، حيث كثر الموت وأصبح الفرد يعيش وحيدا ويشعر بالعبثية والقلق، أي عدم وجود معنى للحياة، فأصبح عند الفرد حالة تسمى القلق الوجودي، ففي الحرب العالمية الثانية على سبيل المثال، فقد الإنسان حريته وأصبح لا يشعر بالمسؤولية ونشأ شعور باليأس، وبذلك فقد أصبحت هناك حاجة فكرية لإبراز قيمة الوجود وأهميته وتناول مشكلات وجودية للإنسان مثل مشكلة الحياة ومشكلة الموت والالام والقلق والحرية...

وهذا يعني، أن الإنسان حسب الفيلسوف "جون بول سارتر"(**) (Jean-Paul Sartre) ليس سوى ما يصنعه لنفسه، وهذا الانسان مشروع يملك حياة ذاتية، ويقول أيضا، إذا كان الوجود أسبق على الماهية، فالإنسان مسؤول عما هو عليه، ولا يستطيع الهروب من المسؤولية الكاملة، " كل فرد وصيا على نفسه مسؤولا على نفسه مسؤولية كاملة" وهذه المسؤولية لا تخص فقط الفرد بل مسؤولية كل الناس، والانسان لا يستطيع تجاوز ذاتية الانسانية من جهة أخرى، لأن الصورة التي نكونها ليست صورة تخص الفرد فقط ولكنها تخص كل الناس جميعا وكذلك العصر.(1)

وهكذا فالمعرفة الوجودية، هي معرفة الذات الحقيقية وشعوره الذاتي، وقد عكس بذلك رائد هذا المذهب "سورين كير كيغار" (Søren Kierkegaard) (1813 - 1855) وهو فيلسوف ولاهوتي دنماركي كبير، مقولة ديكارث الشهيرة "أنا أفكر إذا أنا موجود" وقال يجب القول " أنا أوجد حتى أفكر لأن الحقيقة مرتبطة بالإنسان" وهذا يقودنا بالتسليم بالطرح التالي: فلسفة الوجود

(*)- يجب الاشارة هنا إلى أن الوجودية تنقسم إلى قسمين: (وجودية) ملحدة، و(وجودية مسيحية). 1- الوجودية الملحدة: ومن روادها "هيدغر" و"سارتر"، يقر رواد هذا المذهب بأن الإلحاد أسمى تعبير عن الذاتية الفردانية الحقة. إنكار تام لوجود الله و نفي أي تواصل بين الله و الإنسان، وترى أن السلطة الدينية تحد من حرية الانسان. في حين، تشير الوجودية المسيحية، (غابرييل مارسال وياسرز) إلى مسألة المسيحية والوجودية التي تتطلب تواصل مع الإيمان، لقد كان تأثير المسيحية على (كير كيغار) (Kierkegaard) صريحا من خلال فكره مع الخوف الدائم من الله. فتوجهه الديني جعله يحرص الحياة الحقيقية في المسيحية

(**) - جان-بول شارل إيمارد سارتر (1905 - 1980)، هو فيلسوف وروائي وكاتب مسرحي وناقد أدبي وناشط سياسي فرنسي. بدأ حياته العملية استاذاً ودرس الفلسفة في ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية. حين احتلت ألمانيا النازية فرنسا، انخرط "سارتر" في صفوف المقاومة الفرنسية السرية. وقد التحق السياسي اليسار المتطرف وكان دائما يرفض التكريم بسبب عنده وإخلاصه لنفسه ولأفكاره ومن الجدير وقد رفض استلام جائزة نوبل في الأدب 1964، وعرف "سارتر" واشتهر بفلسفته المسماة بالوجودية . ومن أهم أعماله الأدبية والفلسفية : الوجود والعدم (1943) والكتاب المختصر الوجودية مذهب إنساني (1945) أو نقد العقل الجدلي (1960) وأيضا الحائط أو رواياته مثل الغنيان (1938) والثلاثية طرق الحرية (1945). كتب "سارتر" أيضا في المسرح مثل الذباب (1943) والغرفة المغلقة (1944) والعاهرة الفاضلة (1946) والشيطان والله الصالح (1951) ومساجين ألتونا (1959) .

(1) - جول بول سارتر: ترجمة عبد المنعم الحفني، الوجودية مذهب انساني، ط1، 1964، ص ص 15- 17.

تبدأ بوجود الفرد لا بوجود الفكر. بمعنى أن الوجود يسبق الماهية، فالفرد يظهر أولاً ثم يختار ما يكون عليه، ويعرف ذاته ويكونها ويطورها، تمتاز هذه الوجودية بنظرتها لنشاط الانسان وتصرفاته. وهذا يكون بفعل الاختيار الذي يحرر الذات من مباشرة اللذة ومن مباشرة التأمل أو التفكير المحض معاً، وهكذا يصبح "الاختيار" المقولة المركزية للمفكر الاخلاقي وفعل الاختيار هو في نهاية الامر فعل لتقوية لما هو أخلاقي،⁽¹⁾ وفي هذا الإطار، يجمع الكثير من الفلاسفة على أن "الوجودية"، شكلت أحد التيارات الفلسفية التي ظهرت في القرن العشرين وتبني فكرة أن الإنسان يمتلك حريته بالكامل وأنه صاحب تفكير وحرية وإرادة واختيار. يمكن تلخيص شعارها " إن الانسان ليس الا مشروع الوجود الذي يتصوره ووجوده هو مجموع ما حققه، وهو نفسه ليس إلا مجموع أفعاله .. ومجموع أفعاله هي حياته .. فهو مجموع أفعاله .. وهو حياته" . إنها فلسفة تحيا الوجود وليست مجرد تفكير في الوجود،⁽²⁾ و تميل إلى الحرية التامة في التفكير بدون قيود كما أنها تؤكد على تفرد الإنسان.

يقول الفيلسوف "جون بول سارتر" أن هناك شيء محكوم على الإنسان أن يكون حراً، لأنه ما إن يُلقى به في هذا العالم حتى يكون مسؤولاً عن كل ما يفعله. لأننا قراراتنا هي السبب الوحيد في كوننا مهمين، "ويضيق قائلًا " وهو يدافع عن الوجودية، "إن الوجودية فلسفة متفائلة وليس متشائمة ، لأنها في صميمها تضع الانسان مواجها لذاته، حراً، يختار لنفسه ما يشاء، وهذا أمر مزعج لا يعجب بعض الناس"،.. ولو تناولنا أيًا من الأشياء المصنوعة، لنأخذ السكين مثلاً، الذي صنعه حرفي، وأن هذا الحرفي صاغه طبقاً لفكرة لديه عن السكين، وطبقاً لتجربة في صنع السكاكين ، وأن هذه التجربة اكتسبته معرفة وهي في الواقع جزء لا يتجزأ من الفكرة السابقة التي لديه عن السكاكين، والتي لديه أيًا عن السكين الذي سيصنعه، وأنه صنعها طبعاً للغاية المرجوة منها، وإذن فما هي الماهية السكين مجموعة صفاتها وشكلها وتركيبها والصفات الداخلية في تركيبها وتعريفها، - كلها سبقت وجودها- وبذلك يكون لهذا النوع من السكاكين وجوداً معيناً خاصاً بها. بمعنى، أن السكين بالنسبة لي هي مجموعة من التركيبات والفوائد ..، يسبق فيه الانتاج على وجود الشيء وجوداً حقيقياً. أي أنه قبل أن يوجد الشيء لا بد أن يمر على مراحل عديدة في الانتاج.⁽³⁾ وبالتالي بوصفه موجوداً لا بوصفه ذات مفكرة. وتوافق هذا مع الحرية والاختيار والمسؤولية، لأن الانسان حسب سارتر مسؤول عن كل ما يفعل ومسؤول مسؤولية كاملة عن طبيعته واختياراته."

(1) - عبد الرحمان بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ص 60.

(2) - المرجع نفسه، ص 25.

(3) - جول بول سارتر: ترجمة عبد المنعم الحفني، مرجع سبق ذكره، ص 18.

لقد اشارا رواد الوجودية، إلى أن الحقيقة ذاتية وأن الذاتية هي "الحقيقة" وبعبارة أخرى، "أنا لا أعرف الحقيقة إلا حين تصبح حياتي في ذاتي". والحقيقة هي فعل الحرية، والحقيقة لا توجد للفرد إلا من حيث هو أنتج بفعله شيئاً⁽¹⁾. وهذا القلق مبعثه أيضاً من كون هذا الإنسان الوجودي في مسؤوليته هذه ليس له مرجع يرجع إليه، فهو لا يستمد قواعد هذه المسؤولية ولا أطرها لا من دين ولا من مجتمع؛ لأن رواد هذا المذهب قاموا بإلغاء الضوابط والقواعد التي تحدد نظام المجتمع. وهكذا، فإن هذا المذهب يحرر الإنسان من كل القيود؛ لا قيود للدين ولا قيود للأخلاق، ولا قيود للمجتمع...، ولا يعرف خيراً ولا شراً، وإنما وجوده هو الذي يرشده إلى ما يفعله، ولقد أنكرت الوجودية القيم الدينية فهي لا تعترف بها، بل الإنسان يبقى حر وله كل الاختيارات في اعتناق ما يراه من أفكار.

يقول الفيلسوف "كيركغارد" مادام الفرد هو وحده الذي يوجد، لهذا كان من الاصح بلا شك أن نتحدث عن "منهج وجودي" بدلا من الحديث عن فلسفة وجودية، وإقامة علم الوجود على التجربة أو أن نفهم أن الفلسفة ليست إلا صورة أو أداة للمنهج، ووسيلة كسائر الوسائل وليست غاية، لأن كل شيء يتعلق بالعمل والحياة، أي العمل العملي، وبالتالي، فنحن "لا نوجد لتنتلسف بل نتفلسف لنوجد ولا تساوى الفلسفة شيئاً إن لم تكن تعبيراً ووسيلة حياة في نفس الوقت"⁽²⁾ وقد ثار في وجه "هيجل" الذي شيد فلسفة تتألف من تصورات ومفاهيم عقلية مجردة ترتبط بمنطق محكم هو الديالكتيك وتسوده الروح المطلقة الكلية، كل ما هو موجود عقلي وكل ما هو عقلي موجود، قائلاً "لا يمكن أن يكون هناك مذهب في الوجود" لأن المذهب يقوم حائلاً بين الفيلسوف وبين الموجودات والفلسفة ليست أقوالاً خيالية لموجودات خيالية بل الخطاب فيها موجه إلى كائنات موجودة، وليست بحثاً في المعاني المجردة⁽³⁾ ويقول أيضاً، أن الكليات المجردة خاوية من كل معنى واقعي. فنظرية الوجود التي بلورها "الفيلسوف هيجل" نظرية متماسكة ومبنية بناء محكناً كما يحدد ذلك الفيلسوف "كيركغارد" في كتابه "حاشية نهائية غير علمية للشذارت الفلسفية" إلا أنها نظرية مجردة، متحققة بشكل موضوعي يتجاوز إرادة الإنسان وقناعاته⁽⁴⁾ مادام أننا أشارنا إلى هيجل الذي قدم أفكاراً متنوعة في الفلسفة ومنها المادية، فإن الوجودية على عكس المادية تؤمن بالحرية والإرادة الحرة، وبالتالي فهي تقف ضد كل الأطروحات التي تؤكد وجود الحتمية ومنها "المادية".

(1) - عبد الرحمان بدوي: مدخل إلى الفلسفة، مرجع سبق ذكره، ص 149

(2) - ريجيس جوليفيه، ترجمة فؤاد كامل، المذاهب الوجودية من كيركيجور إلى جان بول سارتر، دار الكتاب، بيروت، 1988، ص 46.

(3) - عبد الرحمان بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، مرجع سبق ذكره، ص 21.

(4) - عمر مهيبيل: مرجع سبق ذكره، ص 123.

يعتقد "كيركيغارد" أن القضايا تكون صادقة عندما تكون متطابقة مع الوقائع،⁽¹⁾ ويدخل في هذا المجال "الصدق الذاتي"، وهنا تظهر شدة علاقتنا ووجودنا الخاص، ويمكن أن نتكلم بهذا المعنى عن الحب الخالص على سبيل المثال. والنقطة المهمة ليست في الحصول على قضايا صائبة عن شيء، بل في الحصول على نوعية معينة من العلاقة الانسانية نفسها، يقول "لا وجود لفكر حقيقي إلا إذا كان وجوديا معاشا ولا حاجة للانتقال إلى التفكير العقلي المجرد"⁽²⁾ وبالتالي، يلاحظ أن مجال وجود الحقيقة لا ينحصر في إطار موضوع من موضوعات الفكر، أو في حكم نظري، فذلك، لا يمكن أن يكون ممكنا إلا إذا كانت الحقيقة – كما يتخيل للبعض أحيانا – شيئا يمكن اقتناؤه (كما نحصل على أي شيء آخر في السوق) وأن نمتلكه كما نمتلك شيئا. وهي لا توجد إلا إذا قبلنا نحن أن نصير وأن "نكون الحقيقة، فالحياة والحقيقة شيء واحد ولا وجود ليقين إلا ذلك الذي أوافق على الالتزام به والمخاطرة بكل شيء في سبيله. والمسألة مرتبطة بالعثور على الحقيقة الصحيحة بالنسبة لي، للعثور على الفكرة التي أستطيع أن أعيش وأموت لها.

وطبيعة الحقيقة مرتبطة بالصورة اليقينية الحية الموجودة في الذات وليس الموضوعية. لأن الواقع هو أن الانسان لا يختار إلا نفسه، وهو الصانع لماهيته. ويكون موجودا بالقدر الذي يحقق به هذه الماهية.⁽³⁾ وبالتالي، فمهمة الفيلسوف كما يقول "كيركيغارد"، "أن أجد حقيقة خاصة بي أنا، أن أجد الحقيقة التي من أجلها أحيأ وأموت". لذا، فإن إنتاجه الفلسفي جاء تعبيرا عن قناعاته الخاصة التي تجتاز التفكير في حده المجرد فتصير فعل التفكير،... هذه الحقيقة حقيقية مفردة تنبض بالحياة وتناقضاتها.⁽⁴⁾ لأن "الحياة ليست مشكلة نحاول حلها، بل هي حقيقة يجب علينا اختبارها".

ومن أبرز نتائج القول بأسبقية الوجود على الماهية "فكرة الحرية"، كون الإنسان لم يكن شيئا في بدء وجوده و مادام الانسان في بداية وجوده ليس شيئا ومادام هو الذي يصمم نفسه، فلا بد أي يكون حرا، بل هو الحرية نفسها،...⁽⁵⁾ إن الحرية تتحقق في اختيارها وممارستها وعندئذ يكون الإنسان مسؤولاً عنها وهذه الطريقة الفردية للتعبير عن الوجود هي الطريقة الوحيدة للنهوض وتجاوز المعاناة والموت والقلق. وهذا المذهب الفلسفي الذي جعل حرية الإنسان غايته، يرتب على هذه الحرية الفردية مسئولية، ويدعو إلى ضرورة تحمل هذه المسئولية والالتزام بها. وهذا يبرر الطرح الذي يؤكد أصحاب هذا المذهب، بالقول:

(1)– غنار سكيريك، نلز غيلجي: ترجمة حيدر حاج اسماعيل، تاريخ الفكر الغربي من اليونان إلى القرن العشرين، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2012، ص 712.

(2)– ريجيس جوليفيه، ترجمة فؤاد كامل، مرجع سبق ذكره، ص 33.

(3)– المرجع نفسه، ص 36.

(4)– عمر مهيبيل: مرجع سبق ذكره، ص 124.

(5)– عبد الرحمان بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، مرجع سبق ذكره، ص 263.

تظل الحقيقة إنسانية ، أي أن الإنسان هو السيد الحقيقي والوحيد لأفكاره ومعتقداته: "كل شخص هو الاختيار المطلق لنفسه "

يقول "سارتر" أن القلق هو كيفية وطريقة خاصة لوجود الحرية، باعتبارها شعورا بالوجود، وكل فرد له أن يتصرف وكأنه هو الموجود والشيء المائل أمامه بلا أي شيء أو موضوع كان قبله،... لا خالق ولا شريعة ولا قانون ولا بشرية، فعلى كل إنسان أن يتحرر ويعيد النظر في المجتمع الانساني الذي يعيش فيه، ولا يلتزم بشيء من التقاليد والعقائد والفلسفات، لأنه مطلق الحرية في اختيار ما يشاء حتى الانتحار. فالحرية مبدأ أساسي أيضا في نظر فلاسفة الوجودية ، لكن الحرية عندهم "حرية مطلقة" ليس عليها قيود أو ضوابط⁽¹⁾ وأصر " سارتر " على الحرية، وأعتبر أن صديقه هو صديق الحرية، وعدوه هو عدو الحرية، وحارب النازية ووقف مع أهل المجر في ثورتهم ضد الشيوعية، وأنتقد بصفة جوهرية سياسية أمريكا ضد الزنوج، كما ساندا ثورة التحرير الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي.

لقد تعرضت الوجودية إلى "انتقادات كثيرة" منها فقد أعلنت من شأن الإنسان والانسان ليس وحده في هذا الكون، بل وجوده مرتبط بوجود أشياء أو كائنات أخرى يتعامل معها و يتفاعل معها. كما أنها أهملت القيم و الأخلاق و الدين، إن الوجودية تقول إن عدم وجود الله معناه عدم وجود القيم المعقولة كذلك، وعدم وجود الخير بصورة مسبقة قبلية ، لهذا فهناك من يرى فيها ممارسة لتقوية الروح الفردية الحاملة، التي تبتعد عن المجتمع وعن قيمه وتقاليده، خاصة أنها تنكر الوجودية لفكرة الله، وتنكر للقيم الالهية، لا شك، أن الإسلام يرفض الوجودية بجميع أشكالها ويرى فيها تجسيدا للإلحاد. أو أن قضايا الحرية والمسؤولية والالتزام التي تدعو إليها الوجودية غير مقيدة بأخلاق أو معتقدات دينية.

8- المذهب المادي : Matérialisme

تشير الفلسفة المادية إلى الأفكار التي تحدد طبيعة العالم وتصفه وفقاً للمتغير والوجود المادي، وفي هذه الحالة لن يكون الوعي سوى عنصرا ثانويا. بتعبير آخر، تكون المادة أولية والعقل (الوعي) ثانوي. وهكذا، يرد هذا المذهب كل شيء في هذا العالم إلى المبدأ المادي الواحد، والوعي يكون بالضرورة نتاج المادة وليس العكس، وبالتالي فهي من الناحية المعرفية تعارض المبادئ الروحانية والمثالية ، وتقر فقط بالمادة على أنها حقيقة. فالأجسام على سبيل الطرح، التي تتغير باستمرار في الحجم والوزن واللون والحركة وما إلى ذلك ، تعبر عن الأفكار التي يمكن أن تنعكس ونسقطها على طبيعة العالم الواقعي والمادي . كما تسبق أيضا المادة الإنسان والعقل والأخلاق والتاريخ...، يرى الكثير من رواد هذا المذهب، ك"لودفيغ

(1) - ريجيس جوليفيه، ترجمة فؤاد كامل، مرجع سبق ذكره، ص 135.

أندرياس فويرباخ" و"كارل ماركس" و"دني ديدرو"... أن الفلسفة تعبر عن أسبقية الوجود المادي" (المذهب الذي يفسر كل شيء بالأسباب المادية⁽¹⁾ على الوعي، فحتى العمليات العقلية ما هي إلا نتاج للتفاعلات المادية، فما يسمى العقل ليس إلا في نهاية الأمر، ظاهرة ناتجة عن عمليات مادية، كون الفكر نتاج الدماغ وهو عضو الفكر.

وفي هذا الإطار، يمكن اعتبار المادية "حركة فكرية" تركز على طبيعة الوجود والتي تعتبر أنه لا يوجد جوهر آخر غير المادة (الأحادية). (monisme). فالظواهر ترجع في أساسها إلى شيء واحد وهو المادة والعالم كله مكون من المادة المؤلفة من عدد من الاجزاء التي تعرف بالذرات أو الجواهر الفردة لأنها جزئيات لا حصر لها ولا تقبل القسمة.⁽²⁾ وما يسمى بالعقل والروح ما هو إلا نوع من أنواع المادة الدائمة التغير والتنوع الناشئ عن الحركة.... حتى الظواهر النفسية المتنوعة ما هي إلا وظيفة من وظائف جهاز المخ الانساني باعتباره مصدر الحركة والتفكير والانتاج. " وبالتالي فالافكار والارادات والاحساسات والعواطف تعود في أساسها إلى حركات داخلية في الجسم .

وفق هذا المنظور، فإن المادة هي التي تحدد مدارك الوعي وقنواته النظرية في فهم الوجود.... كما يتطور الوعي بتطور المادة المحيطة بالإنسان، وهذا الوعي لا يمكن تفسيره إلا عن طريق التغيرات الفيزيوكيميائية في الجهاز العصبي للإنسان.⁽³⁾ يجمع الكثير من المنظرين والباحثين على أن تطور هذا المذهب كان على يد الكثير من الفلاسفة وعلى رأسهم "كارل ماركس" الذي تحدث مطولا عن طبيعة هذه الفلسفة التي ظهرت بظهور وتحول الكثير من البنيات والمظاهر والاشكال في الحياة البشرية. فالثورات والأزمات على سبيل المثال، أدت إلى إحداث الكثير من التغييرات التدريجية في وعي العمال والمساهمة في بروز ما يسميه بالصراع الطبقي. وهذا ما قاد الكثير من المفكرين بتقديم مهام جديدة للعلم لغرض البحث في المعرفة واكتشاف الواقع المادي، والجوهر، والقوانين الكامنة وراء المظاهر... ودراسة مختلف الاختلافات الكمية إلى التي أدت إلى إحداث تغيير نوعي وكيفي في المجتمعات وفي الأنساق الفكرية .

تقوم مبادئ هذا المذهب على مجموعة من الافكار، ومنها أن العالم الذي نعيش فيه هو وحدة من التناقضات، أو وحدة من الأضداد: كالبارد والساخن، الأغنياء-الفقراء ، الإيجابي-السلبي ، الازدهار-الأزمة والتنافر - الجاذبية ، واليسار - اليمين ، والأعلى - الأسفل ، والشتاء-الصيف والحرب - السلم... وكلها تشكل

(1)- جميل صليبا. المعجم الفلسفي. ج 2 ، دار الكتاب اللبناني. 1982، ص 309.

(2)- إدريس خضير، مرجع سبق ذكره، ص 366.

(3)- نبيل على صالح، المادية مقارنة نقدية في المنهج والبنية ، سلسلة مصطلحات معاصرة، ط1، 2018، منشورات المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ، ص 18.

أنماط لوجود وانتاج المادة. فالإنسان الذي يعيش في وسط تحيط به الأشياء المادية سيضطر للتفكير من خلال تأثير هذه الموجودات على وعيه. وهذا ما يبرر القول: إن المادة ليست نتاجا للفكر، بل أن الفكرة ذاتها ليست سوى أعلى نتاج للمادة " (1) كما أن الطبيعة ليس لها بداية أو نهاية، كل عناصرها تتفاعل بشكل متبادل، وكل شيء هو نتيجة وسبب في نفس الوقت.

يمكن القول أن ظهور هذا المصطلح بدأ في النصف الثاني من القرن السابع عشر للإشارة إلى وجود الجوهر المادي الذي ينتهي إلى الواقع الموضوعي ويوجد خارج وعينا. من الواضح حسب ما أشارت إليه أفكار هذا المذهب بأننا لا نعيش في عالم ثابت وهذا ما يبرر فكر هذا المذهب، فكل شيء في الطبيعة يكون في حالة تغير مستمر. يقول الباحث والفيلسوف "إنجلز" في هذا الإطار: "الحركة هي نمط وجود المادة". كل الكائنات الحية تتحرك، فحتى النباتات والعناصر الصغيرة و الميكروبات تتحرك بحثا عن الغذاء والنمو و الأمن و الجنس ... فهي تتفاعل مع بعضها البعض كما تتفاعل مع البيئة المحيط والمجتمع كما أن كل جسم يتكون من ذرات، تتحرك باستمرار و كل ذرة تتكون من الكتلونات التي تتحرك في فضاءها الخارجي و حتى البروتونات و النيوترونات تتحرك في نواة الذرة ... فلا شيء ثابت ومطلق، بل كل الموجودات متحركة و نسبية.

وهذه إشارة إلى أنه لا يمكن الحديث عن المادة في أي مكان وزمان بدون حركة، كدوران الأرض باستمرار حول محورها، وهي بدورها تدور حول الشمس وحتى الشمس ليست ثابتة، ونحن أيضا نولد وننمو ونموت ... (2) والعالم والوجود المادي في هذه الحالة، هو العالم الحقيقي والوحيد.

والجدير بالذكر، أن الكثير من الفلاسفة في الحضارات اليونانية القديمة تطرقوا إلى هذه الفلسفة ومنهم على وجه خاص، الفلاسفة الأوائل (الطبيعيون) الذين فسروا نشأة الكون على أساس المادة، فنجد "طاليس" الذي قال أن نشأة العالم يعود للماء، فالماء هو العنصر الأول، و "أناكسيمينيس" الذي أشار على أن المادة الأولى لنشأة الكون كانت الهواء، وذهب الفيلسوف "بارمنداس" للقول أن الوجود يتكون من أربع عناصر هي الهواء والماء والنار والتراب.... وحسب الكثير من المنظرين و الفلاسفة الماديين الذين سعوا إلى تفسير جميع الظواهر بمبدأ واحد، فقد أكدوا على الوجود الحصري للكيانات المادية. أي العودة إلى

(1) - محمد علي الحكيم ، المادية الجدلية بين العلم و الفلسفة، الحوار المتمدن-العدد: 6435 ، 2019 / 12 / 12 -

<https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=658614>

(2) -ROB SEWELL , Qu'est-ce que le matérialisme dialectique? La reponse socialiste, 13 AVRIL 2015.

<https://marxiste.qc.ca/article/quest-ce-que-le-matrealisme-dialectique>

الطبيعة المادية. (1) يمكن الإشارة أيضا إلى أفكار "الفيلسوف هيرقليطس" التي تتمحور حول الحركة الدائمة والتغيير الدائم وعدم الثبات. أي أن كل شيء في تغير، وهو صاحب القول المشهور، "لا تستطيع أن تنزل إلى النهر مرتين". لأن سيرورة الوجود الفعلي للأشياء تتم بحركة دائمة وأن كل شيء في حالة سيلان دائم. (2) كما أقر على أن المادة الأولية للكون هي النار.....بالإضافة إلى ذلك، تشكلت الكثير من القراءات المادية التي ركزت على المادية الميكانيكية الذرية للتعبير عن الطرح القائل أن العالم المادي يتكون من الذرات، خاصة مع "ديموقريطس"، وفلسفة "أبيقور" (التي تعتبر الروح نفسها مادية، أن الروح البشرية تتكون من ذرات خفيفة ومتحركة للغاية). وهذا التعبير، يمكن القول أن كل الظواهر الطبيعية والأجسام المختلفة نفسها ترجع إلى حركات وتوليفات ذرات المواد التي تتحرك و تشكل العالم بأسره وتفسر جميع ظواهر وعناصر الحياة.

كما تطورت المادية في البيئة الغربية على يد كل مع "لاميتري" و"ديدرو"، و"فولباخ" و"كارل ماركس" باعتباره "الرائد الحقيقي للمادية في القرن الثامن عشر، أين انتشرت المادية الآلية، خاصة مع انتشار العلوم والبحوث العملية و تطور مختلف أشكال النضال الأيديولوجي والسياسي والاقتصادي. إلى جانب ذلك يمكن استحضار القراءات الفكية المتنوعة التي تحدثت عن تنظيم وتطوير مادية "فرانسيس بيكون" (1561 - 1626) و"توماس هوبز" (1588 - 1679)، الذي طور أفكاره لاحقًا جون لوك (1632 - 1704). يعتقد هذا الأخير بالفعل أن المادة يمكن أن تولد ملكة التفكير. (3) يصير هؤلاء الفلاسفة على وحدة العالم، وهي وحدة مادية. وهذه المادة تتحول إلى طاقة والطاقة تتحول إلى مادة وهكذا دواليك.

على الرغم من الانتقادات التي وجهت لهذا المذهب خاصة من طرف رواد المثالية و من قبل "كانط" أيضا، فقد طور "فورباخ" وكذلك "ماركس" وتلاميذه مادية جدلية وتاريخية في آن واحد، خاصة أثناء تحليل الصراع الطبقي من أجل امتلاك وسائل الإنتاج والنظر إليه على أنه القوة الدافعة للتاريخ، وتطورت مع المادية الجدلية التي ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر حدث تطور في هذا الاتجاه حيث قدمت تصورا فلسفيا متكاملًا عن الوجود والأنسان والمجتمع.

(1) - إدريس خضير، مرجع سبق ذكرهن ص 365.

(2) - نبيل على صالح، المادية مقارنة نقدية في المنهج والبنية، سلسلة مصطلحات معاصرة، ط1، 2018، منشورات المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ص 57.

(3) - ROB SEWELL, Op.cit.

1- المادية الجدلية "matérialisme dialectique"

تطور هذا المذهب المادي بفضل الافكار التي قدمها كارل ماركس " (1818-1883) و"فريدريك إنجلز" (1820-1895) والذين اعتمدوا في أفكارهم على ديالكتيك الفيلسوف الألماني "فريدريش هيغل" ، وكذلك على مادية "فيورباخ"⁽¹⁾. القائلة بأن المعرفة وجوهر العالم هي المادة، وتعتبر الظواهر الطبيعية في حركة دائمة وتطراً علمياً تغييرات دائمة. إشارة إلى وجود علم القوانين (العلاقات السببية بين متغيرين أو أكثر) العامة للحركة وتطور الطبيعة والمجتمع الانساني والفكر والكشف عن الاسباب التي تتحكم في التطور والحركة. وبالتالي يمكن القول، أن نمط انتاج الحياة المادية سيشرط سيرورة الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بصفة عامة . ليس وعي الناس هو الذي يحدد وجودهم بل، العكس من ذلك، فإن وجودهم المجتمعي هو الذي يحدد وعيهم.⁽²⁾ وهكذا، فتطور الوعي تكون نتاجاً لتطور الظروف في الطبيعة والتفاعل المتبادل بين قوى الطبيعة المتضادة. وبالتالي سيتشكل الوعي البشري فقط من تحول المادة ومن الحركة الناتجة عن التأثير المتبادل لمختلف الاطراف المتصارعة. وسيكون لعنصر الديالكتيك، (المجادلة، الحوار والمناقشة والصراع والتصادم...) دوراً معتبراً في الكشف عن هذه المعرفة والقوانين الجدلية المادية والتاريخية الموضوعية التي تتحكم في تطور المجتمع، خاصة مع تحويل هذه المعرفة الى قوة مادية للكشف عن مختلف التناقضات. وهكذا فإنه لا يمكن الحكم على فرد من خلال الفكرة التي لديه عن نفسه ولا يمكن الحكم على عصر من خلال الوعي الذاتي، بل يجب أن نفسر هذا الوعي بدلالة تناقضات الحياة المادية أي بواسطة التعارض القائم بين القوى المنتجة المجتمعية وعلاقات الانتاج.⁽³⁾ وذلك يعنى بدراسة الظواهر الاجتماعية والإنسانية بدراسة القوانين المادية لتطور الطبيعة والمجتمع⁽⁴⁾ ... وتستمد من المادية الجدلية مبادئها في تحليل الظواهر والوقائع الاجتماعية، وهي في الواقع تعتمد على المقولات الأساسية :

- أن عمليات التراكم الكمية تؤدي إلى تغيرات كيفية، وهكذا ستؤدي التغيرات الكمية للحياة إلى تغيرات نوعية في الوجود. فالتغيرات والتبادلات والتفاعلات الكمية لأية ظاهرة (المادة التي تشمل بعض الخصائص المادية الحجم والمقدر والشدة واللون والحركة وكذلك الظواهر الاجتماعية للظواهر الاجتماعية كتطور إنتاجية العمل، والقوى المنتجة، ...) ستكون في إطار

(1) - نبيل على صالح، المادية مقارنة نقدية في المنهج والبنية ، سلسلة مصطلحات معاصرة، ط1، 2018، منشورات المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ، ص 19.

(2) - محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، الفلسفة الحديثة، نصوص مختارة ، افريقيا الشرق، 2000، ص 307.

(3) - المرجع نفسه، ص 308.

(4) - نبيل على صالح، مرجع سبق ذكره ، ص 18.

العمليات التي تؤدي بالضرورة وبحكم قوانين التطور والتحرك والتحول، إلى إحداث تغييرات كيفية ونوعية. فنمو الطفل في تغير كمي ويقابله ذلك تغير نوعي في سن البلوغ مثلا. وهذا ما يؤكد الطرح السائد في هذه النظرية أن التحولات الكيفية التي تطرأ على الأجسام نتيجة لتغير تركيبها الكمي. لا يمكن أن تحدث التحولات الكيفية في الوقائع الاجتماعية والانسانية الطبيعية، بصورة واضحة الا بوجود المادة أو الحركة، فالمطر لا يهطل إلا إذا تحققت الشروط الموضوعية لفعل الهطول: كالتبخر ووجود الغيوم وارتفاع درجة حرارة الماء. كما أن تحول الماء من حالة الاولى كمادة سائلة الى حالة نوعية كالبخار؛ تعبر بشكل واضح عن التغيرات الكمية والكيفية. وهكذا، ستشكل أيضا الثورة؛ حالات من هذا التحول والتغير في المجتمعات (التي تنطلق من أشكال وتراكمات وممارسات مادية منها، الظلم والقمع خاصة المادي والعقاب واستخدام وسائل الهيمنة...). فانتقال الشعوب من التفاعل السياسي الطبيعي إلى حالة الثورة هو تغير كمي، وهو الناتج عن تغيرات كمية كثيرة اسهمت في تأجيج وتحريك غضب الشعوب. كما أن نمو الجنين في بطن الام هو تغير كمي، لكن حالة ولادته تعبر عن تغير نوعي وكيفي فقد تحول من مادة الجنين إلى طفل⁽¹⁾

لقد جعلت النظرية المادية من مسألة التناقض موضوعا مركزيا باعتباره المحور الأساس في حركة الاشياء. يشمل هذا العنصر صراع الأضداد القائم على المواجهة. وبالتالي فإن التغير يصبح حتمي وتتحول هنا المادة لشكل ونوع جديد. فكل الاشياء في الطبيعة والحياة الاجتماعية تحمل في مكوناته أشكالاً من التناقض والصراع المستمر. وهذا ما يشار إليه بقانون وحدة المتناقضات وصراعها. كالتناقض بين البروليتاريا وبين البرجوازية. فالتناقض حاصل، داخل وحدة كل شيء وفي كل نظام، ولا يمكن في هذه الحالة الفصل بين الشيء وتناقضه. ويشير رواد هذا التوجه الفلسفي أن صراع الأضداد هو القوة المحركة لكل تطور ونمو وتحول، سواء كان الأمر يتعلق بالمادة أو بالمجتمع أو الفكر. والواضح من خلال هذا التعبير، أن الأشياء الموجودة تكون في حالة تضاد وتناقض داخلي ودائم، وهو الذي سيؤدي إلى التغير. فالمجتمع تتصارع داخله الأضداد، على سبيل المثال، فالمالك لرأس المال يريد زيادة حجم وقيمة ثروته والعامل يريد

(1) - عمر أبو رصاع، قوانين المادية الجدلية... (2) التراكمات الكمية تؤدي إلى تغير نوعي عند بلوغها المعيار، الحوار المتمدن، الحوار المتمدن-العدد:

زيادة دخله وتحسين ظروف معيشته إذن، المجتمع هو في حالة تضاد داخلي وهو الذي يؤدي بالنهاية إلى حدوث التغيرات الاجتماعية كنتيجة للصراع الطبقي في داخل المجتمع . يرى إنجلز أن الديالكتيك هو "أفضل أداة وأحدث سلاح لدينا" للقيام وانتاج الكثير من الاشياء. خاصة في الحركة العمالية. فهو يشبه البوصلة أو الخريطة، التي تبقينا على المسار الصحيح في ظل اضطراب الأحداث، وتسمح لنا بفهم العمليات الأساسية التي تشكل عالمنا⁽¹⁾

- أن الصراع بين مختلف المكونات يؤدي باستمرار إلى ما يعرف بنفي النفي، فكل مرحلة من مراحل التطور تنفي بالضرورة المراحل السابقة، فجميع الاوضاع الراهنة لأي بنية ينفي بالضرورة وضعها السابق من خلال الصراع والتفاعل والتبادل.... وهنا يجب التنويه، إلى أن التاريخ لا تقوده حركة الأفكار، لكن البيانات المادية والصراع الداخلي.

يقدم "إنجلز" الكثير من الامثلة لتوضيح حالة "نفي النفي". فمثلا حبة الشعير، في الواقع يتم طحن الكثير من حبوب الشعير المماثلة والقيام وتخميها وتحويلها ثم تناولها. ولكن إذا وجدت حبة شعير من هذا النوع ظروفًا طبيعية خاصة بها، إذا سقطت على الأرض على سبيل المثال، سيحدث لها تحول معين تحت تأثير الحرارة والرطوبة ، فإنها بذلك تكون في حالة تطور وتحول أي تنبت، بمعنى ستختفي الحبوب، (نفي الحبوب) ويحل محلها شكل جديد وعنصر جديد (المولود منه). وبالتالي فإن الحركة ليست ثابتة وغير مقيدة بأوضاع معينة، لأن الكائنات الحية تنمو وتتمايز ، ثم تموت وتحلل و تولد الأنواع. فهي بذلك تنمو وتزهر وتنتج أخيرًا حبوبًا وحببات جديدة من حبة الشعير.⁽²⁾ . يعطينا إنجلز مثالًا آخر من عالم الحشرات، فالفراشات ، على سبيل المثال ، تولد من البيضة عن طريق النفي، وتحقق تحولاتها حتى النضج الجنسي، وتزاوج وتتلاشى بدورها . وكذلك، الثمرة تنفي بالضرورة الزهرة، ولا يمكن أن تكون الثمرة زهرة في وقت واحد. ذلك أن تحول الزهرة إلى ثمرة يحتاج الأمر إلى وجود مجموعة من الخصائص والعناصر والقوانين المساهمة في التطور والتحول. وهكذا، فقد اعتبر ستالين المادية الديالكتيكية تطبيقًا للقوانين التي يمكنها تفسير قوانين التطور والتغيير.⁽³⁾ فهذه الحالة من النفي ستفتح مسارات وآفاق للتطور والنمو والانتاج ...

(1)- ROB SEWELL, Op.cit.

(2) -IBID.

(3) - Ibid.

2- المادية التاريخية matérialisme historique

تعتبر المادية التاريخية عن الافكار المادية المرتبة بمادية التاريخ وهذا بالعودة لتحليل المسارات والمراحل التاريخية للشعوب ومختلف النضالات الاجتماعية والتطورات الاقتصادية والسياسية بناءً على عناصرها وأسبابها المادية ، ولا سيما تاريخ الطبقات الاجتماعية وعلاقتها وتطورها. بالنسبة لماركس، يجب ربط "الصراع الطبقي" بتاريخ الإنسانية. يتمثل أحد تحدياتها الرئيسية في إدخال أساليب إنتاج جديدة، لكنه يركز على الاقتصاد بكونه اساس وعماد التاريخ الاجتماعي.

وعادة ما يعبر عن التحولات التاريخية لقوى الإنتاج والمبادئ الجوهرية في تحريك التاريخ والتي تعود إلى تطور القوى الإنتاجية المادية ، ومنها "البنية الاقتصادية" للمجتمع. وعلاقات الإنتاج ، و أدوات ووسائل الإنتاج. بحيث ركزت على علاقات وأنماط الإنتاج بين الأفراد والأنظمة الاقتصادية باعتبارها أساس كل العلاقات في المجتمع. فالظروف المادية- الإنتاج، هي أساس الحياة والتقدم والتطور والتحول المساهمة في تحريك عجلة التاريخ؛ لأن الأفراد كانوا يفكرون في الإنتاج عن طريق الحصول على قوى تنظيمية تنظم العلاقات فيما بينهم؛ وذلك بابتكار وسائل كانت في البداية بسيطة، بغية تقسيم العمل، وممارسة التجارة وتنظيم الملكية. (1) يرى كل من "ماركس وإنجلز" إلى ضرورة تحليل أسباب التغيرات المتنوعة التي تحدث في المجتمعات، كون ظروف وجود البشر وتطوره والعلاقات بين الطبقات الاجتماعية كان لها تأثير حاسم على مجرى الأحداث. وهنا يجب الإشارة، بأنه عادة ما تحدد مختلف الأحداث التاريخية عن طريق التبادلات والتفاعلات والعلاقات، خاصة بين الطبقات الاجتماعية وبتأثير تطور وسائل الإنتاج وليس بالأفكار والوعي.

يقوم المفهوم المادي للتاريخ على تبرير مادية إنتاج وسائل المساعدة في الحياة البشرية، والتركيز على الصراع الطبقي والتفاعل المتبادل بين البنيات الفوقية (الدين، الأخلاق، العادات، الفن) والتحتية الاقتصادية كقوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج. والبنى التحتية هي التي تُحرك وتشكل البنى الفوقية إذ تؤدي التحولات المستمرة في القاعدة المادية إلى تغيرات مماثلة في البناء الفوقي، وذلك على الرغم من بقاء العامل

(1) - محمد لمعر، كارل ماركس ونقد الدولة الرأسمالية، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث ، ابريل 2021،

<https://www.mominoun.com/articles/%D9%83%D8%A7%D8%B1%D9%84-%D9%85%D8%A7%D8%B1%D9%83%D8%B3-%D9%88%D9%86%D9%82%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A3%D8%B3%D9%85%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%A9-7454>

الاقتصادي هو العامل الحاسم في ذلك. كما أنها تعتقد هذه النظرية المادية أن العلم يثبت فحوى آرائها ومقولاتها الفكرية بما هو تجارب مادية أي ما اكتسب بملاحظة وتجربة موضوعية من حقائق وقوانين أو قواع السلوك الظواهر الكونية...⁽¹⁾. وفي هذا الصدد، يجب البحث عن الأسباب النهائية لكل التغييرات الاجتماعية والثورات السياسية، ليس في أدمغة وعقول الرجال ولكن في التغييرات في الأنماط الحاصلة في الحياة والتاريخ وفي وسائل الانتاج... لذلك، تحاول المادية التاريخية إدراك تلك التغييرات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والتاريخية التي تحدث بسبب الظروف المادية للحياة والصراع الطبقي. وهي التي تحكم حركة التغيير في الوجود.

(1)- نبيل على صالح، مرجع سبق ذكره، ص 20..

خلاصة عامة

حاولنا في هذه المطبوعة البيداغوجية التي تتضمن الكثير من المبادئ والافكار الرئيسية التي ركزت عليها بعض المذهب الفلسفية الرائدة والحديث عن بعض القضايا والمسائل المرتبطة بها من مفاهيم ومعتقدات وتوجهات وأفكار . وهذا الاهتمام جاء ليعزز ما توصلت إليه الكثير من الدراسات و بحوث المؤسسات الاكاديمية، النظرية والتطبيقية، التي تؤكد دور العلوم الانسانية في تحقيق التراكم المعرفي الواسع، وخصوصيات البحث في علوم الإعلام والاتصال التي يفرض التوجه معرفيا وفكريا ومنهجيا على العلوم الاخرى، فهو يستمد أهم مبادئه ومنطلقاته من التيارات الفكرية المتنوعة، ومنها المذاهب الفلسفية والتي تشكل النواة الصلبة لفهم الكثير من القضايا المتصلة بالفرد والمجتمع والكون .

بالإضافة إلى ذلك، ولفهم التطور المعرفي الذي شهدته العلوم ومنها العلوم الانسانية، يجب العودة إلى المنطلقات المعرفية لبعض المدارس والمذاهب و تحديد أصولها ومتابعة ومراجعة تطورها واهتماماتها وهي مساعدة في توسيع مجالات التفكير والنقاش والتحليل ، لذلك فقد حاولنا عرض مختلف الآراء والمسائل التي تناولتها المذاهب الفلسفية بمختلف مشاربها واهتماماتها وتناقضاتها أيضا . فالمذهب العقلي ينطلق من فكرة أن المعرفة تعود إلى العقل وهو الوحيد الذي يدرك ماهيات وجوهر الاشياء، في حين ترى الفلسفة التجريبية أن المعرفة تكسب فقط من خلال العودة إلى مبادئ الادراك الحسي والاحكام والتجريبية. وذهب المذهب البراغماتي لتأكيد طرح آخر يركز على المنفعة والنجاح والعمل المنتج في ادراك الحقيقة والمعرفة، على نقيض ذلك، وجهت المثالية انتقادات للممدركات المحسوسة ودعت للاهتمام بالتصورات الفكرية والعقلية وبالمثل العليا لأنها تتميز بالخلود والصواب. ولتجاوز هذه الفكرة الاخيرة تبنت الواقعية طرحا آخر يقوم على انتقاد التصورات والافكار المجردة والاهتمام بالإدراك الواقعي للأشياء، أي الاشياء المطابقة للواقع. وذهب الوجوديون إلى الاعتقاد أن الانسان مشروع وهو الذي يختار وجوده ومصيره . وعلى عكس بنية الافكار التي ركزت عليها المذاهب التي ذكرناه سابقا، حرصت الفلسفة المادية على تفسير الوجود انطلاقا من المادة التي تتميز بالتحول والتغير والتنوع وهي مصدر التفكير والمعرفة .

المراجع :

1. باللغة العربية:

1. إدريس خضير: دعائم الفلسفة، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992.
2. أ.م. بوشنسكي، ترجمة: عزت قرني: الفلسفة المعاصرة في أوروبا، سلسلة عالم المعرفة، 1978، العدد، 165..
3. أرفلد كوليه، ترجمة أبو العلا عفيفي: المدخل إلى الفلسفة: ط1، بيروت، 2016.
4. ابن منظور، لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، (المجلد الثالث)، (باب الخاء)، 2003.
5. ابو النور حمدي أبو النور حسين: يورغن هابرماس، الأخلاق والتواصل، التنوير للطباعة والنشر، 2012.
6. تشارلز موريس، ترجمة، ابراهيم مصطفى إبراهيم، رواد الفلسفة الامريكية، مؤسسة شباب الجامعة، 1996.
7. جون ماكوري، ترجمة امام عبد الفتاح امام، الوجودية، عالم المعرفة، اكتوبر 1982.
8. جول بول سارتر: ترجمة عبد المنعم الحفني، الوجودية مذهب انساني، ط1، 1964.
9. جميل صليبا. المعجم الفلسفي. ج2، دار الكتاب اللبناني. 1982 م. ص 309
10. حسين علي: ما هي الفلسفة، التنوير للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2011.
11. حسن حنفي: في الفكر الغربي المعاصر، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات للنشر والتوزيع، 1990.
12. حنان قصبي و محمد الهلالي: في المنهج، دفاتر فلسفية، نصوص مختارة، ط1، دار توبقال للنشر والتوزيع، العدد 32، المغرب، 2015.
13. ريجيس جوليفيه، ترجمة فؤاد كامل، المذاهب الوجودية من كيركيغور إلى جان بول سارتر، دار الكتاب، بيروت، 1988.
14. س. رابوبرت، ترجمة أحمد أمين، مبادئ الفلسفة، منشورات هنداوي، القاهرة، 2013.
15. عمر مهيبل، إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية الحديثة، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2005.
16. عبد الله شمت المجيدل: تطور الفكر الفلسفي، من الفلسفة اليونانية إل المعاصرة، ط1، دار الاعصار للنشر والتوزيع، عمان، 2015.
17. عبد الرزاق بلعقروز: مدخل إلى الفلسفة العامة، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر. 2015.

18. عبد الرزاق بلعقروز: تحولات الفكر الفلسفي المعاصر، أسئلة المفهوم والمعنى والتواصل، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008.
19. عبد الرحمان بدوي: مدخل جديد إلى الفلسفة، ط1، وكالات المطبوعات، الكويت، 1975.
20. عبد الرحمان بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
21. عمار الطالبي: مدخل إلى عالم الفلسفة، دار القصبه للنشر، الجزائر.
22. عزي إسلام: فتغنشاتين وفلسفة اللغة، مجلة عالم الفكر، الكويت، 1973.
23. غنار سكيريك، نلز غيلجي: ترجمة حيدر حاج اسماعيل، تاريخ الفكر الغربي من اليونان إلى القرن العشرين، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2012.
24. لوك فيري: ترجمة محمود بن جماعة، أجمل قصة في الفلسفة، ط1، دار التنوير، لبنان، 2015.
25. محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد الله: التفكير الفلسفي، دقاتير فلسفية، نصوص مختارة، دار توبقال للنشر، ط2، المغرب، 2008.
26. محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي: التفكير الفلسفي، دار توبقال للنشر، 2008.
27. محمد الحاج حسن الكمالي: محاضرات في الفلسفة الاسلامية، نظرية المعرفة في ثوب جديد، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1993.
28. منتير ميد: ترجمة فؤاد زكريا: الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.
29. يعي هويدي: مقدمة في الفلسفة العامة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1989.
30. يمني طريف الخولي: فلسفة العلم في القرن العشرين، الأصول-الحصاد-الأفاق المستقبلية-عالم المعرفة، ديسمبر 2000.
31. يوسف كرم: يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، ط5.
32. نبيل على صالح: المادية مقارنة نقدية في المنهج والبنية، سلسلة مصطلحات معاصرة، ط1، 2018، منشورات المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية.

2- المراجع باللغة الفرنسية :

- Laurent de BRIEY , INTRODUCTION À LA PHILOSOPHIE, Faculté des sciences sociales, économiques et de gestion , Faculté universitaire Notre-Dame de la Paix , Année 2011-2012.
- – Émile Chrétien, le Québec philosophique, Une Introduction à la philosophie, Montréal : McGraw-Hill, Éditeur, 1991.

- Gilles Deleuze , Félix Guattari , **Qu'est –ce que la philosophie ?** le éditions minuit, 2013.
- Paul Robert, **Le petit Robert Dictionnaire Alphabétique et Analogique de la Langue Française** , Nouvelle éditions, millésime, 2011.
- André Comte-Sponville, **La Philosophie**, éditions pointe delta, 2009 .
- Michel Seymour, **PROFESSION PHILOSOPHE** , Presses de l'Université de Montréal, 2006.
- -François Duchesneau , **Philosophie des sciences** , DANS LE LIVRE SCIENCES, TECHNOLOGIES ET SOCIÉTÉS DE A À Z.
- <https://books.openedition.org/pum/4336?lang=fr>
- Jean-François Dortier , **Qu'est ce que la philosophie ?** Hors-série N° 16 - Mai-juin 2012.
- Félix Guattari , Gilles Deleuze, **Qu'est-ce que la philosophie ?** éditions de Minuit, 1991.
- ROB SEWELL ,**Qu'est-ce que le matérialisme dialectique?** La reposte socialiste, 13 AVRIL 2015.
<https://marxiste.qc.ca/article/quest-ce-que-le-matrealisme-dialectique>

3. المواقع الإلكترونية الإلكترونية:

1. محمد سبيلا: التحولات الفكرية الكبرى للحدثة، مساراتها الإستيمولوجية ودلالاتها الفلسفية، مجلة فكر ونقد الإلكترونية ، المغرب
http://www.aljabriabed.net/n02_03sabila.htm
2. شوقي رياشي: السوفسطائية فلسفة اثارث جدلاً ف... هل تتكرر اليوم؟-رأي -
<http://www.tahawolat.net/MagazineArticleDetails.aspx?id=112>
3. –محمد عابد الجابري، ابن رشد: العلم والفضيلة، مجلة فكر ونقد الإلكترونية .
http://www.aljabriabed.net/n14_01jabri.htm
4. عمر أبو رصاع، قوانين المادية الجدلية... (2) التراكمات الكمية تؤدي إلى تغير نوعي عند بلوغها المعيار، الحوار المتمدن، الحوار المتمدن-العدد: 1728 - 11 / 11 / 2006
<https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=80302>
5. محمد علي الحكيم ، المادية الجدلية بين العلم والفلسفة، الحوار المتمدن-العدد: 6435، 2019
<https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=658614> - 12 / 12 /
6. Sylvain LAVELLE, **Les philosophies du pragmatisme et la relation entre théorie, pratique et technique**, 2007,
<HTTP://BASE.D-P-H.INFO/FR/FICHES/DPH/FICHE-DPH-7197.HTML>